

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر

بناء الأسرة و القبيلة في عهد الدولة الزيانية

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ الدكتور:

❖ عبد الحميد عمران

إعداد الطالبان :

✓ بشري سويب

✓ راضية بوعشرين

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	الإسم واللقب
- رئيسا -	المسيلة	أستاذ مساعد أ	عبد الرحمان نويقة
- مشرفا ومقررا -	المسيلة	أستاذ التعليم العالي	عبد الحميد عمران
-مناقشا -	المسيلة	أستاذ مساعد أ	جمال بن مجدوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) ١

الآية 10 / سورة الكهف

صدق الله العظيم

" لا يزال المرء عالما ما دام في طلب العلم فإذا ظن

انه علم فقد بدأ جهله "

ألبرت أينشتاين

شكر و عرفان

الحمد لله أولاً صاحب النعمة الذي وفقنا لإتمام هذا العمل فلا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بجزيل الشكر

و العرفان إلى كل من :

✚ الأستاذ المشرف " عبد الحميد عمران " الذي تكرم بقبول الإشراف والذي إستفدنا من توجيهاته

العلمية ولم تمنعه أعماله ومشاغله العديدة من متابعته لهذا العمل المتواضع بكل روح علمية و تواضع كبير.

✚ إلى لجنة المناقشة التي ستفيدنا بتوجيهاتها و ملاحظاتها.

✚ إلى من كل من كان عوناً و سندا لإنجاز هذا البحث.

✚ إلى أصحاب المكتبة الذين كانوا سندا في جنبنا وتقديهم عملاً متقناً " مكتبة الزاد".

الإهداء

الحمد لله بعونه تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة و السلام أفضل التسليم على آله و صحبه أجمعين أما بعد:

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من قال فيهما الله عز و جل " و إخفض لهما جناح الذل من رحمة و قل ربي إرحمهما كما ربياني صغيراً" الإسراء آية 24.

✚ إلى الذي أحمل إسمه بكل فخر، إلى سندي و ملاذي، إلى الذي رافقني بالحب و الرعاية و الدعاء أبي الغالي أطال الله في عمره.

✚ إلى التي لا يطيب النهار إلا برؤيتها و تحلو الأيام إلا بوجودها ، إلى التي حملتني وهنا على وهن و أثرتني على نفسها أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

✚ إلى من كانوا معي فالسراء و الضراء إخوتي عيسى و إلياس و آمال.

✚ إلى الأرواح الطاهرة التي إشتاق لها القلب جدتي و ابن خالي حمزة رحمهما الله.

✚ إلى رفيقات دربي حدة و فطوم.

✚ إلى رؤوف حفظه الله و رعاه و إلى أمه أطال الله في عمرها، إلى كل من أحبهم قلبي و لم يذكرهم قلبي.

الإهداء

الحمد لله بعونه تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة و السلام و أفضل التسليم على آله و صحبه أجمعين أما بعد:

✚ إلى أعلى ما أملك في الوجود "أمي الغالية" التي لم تبخل علي بدعواتها أطال الله في عمرها و حفظها.

✚ إلى أبي الغالي الذي دعمني ماديا و معنويا حفظ الله و أطال في عمره.

✚ إلى دري و سندي أسامة.

✚ إلى أستاذنا و مشرفنا " عبد الحميد عمران " أطال الله عمره، كل الشكر و التقدير لك يا معلمي وأستاذاي من الإبتدائي إلى الجامعي.

✚ إلى وطني الحبيب الجزائر.

✚ إلى الذين لم يخلوا على بالعون المادي و المعنوي و الدعاء و النصح.

✚ إلى أخوتي و أخواتي.

✚ إلى عائلتي بوعشرين و بن نعجة بين سرور .

✚ إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

راضية

الفهرس

.....	شكر و عرفان
.....	الإهداء
أ.....	فهرس الموضوعات
أ.....	قائمة المختصرات
1	المقدمة
2	1) الدوافع الذاتية
2	2) الدوافع الموضوعية
2	3) الإشكالية :
3	4) أهمية الدراسة :
4	5) أهداف الدراسة :
4	6) المنهج المتبع :
5	7) الدراسات السابقة :
6	8) صعوبات الدراسة :

8مدخل تمهيدي: القبائل الزيانية.....
8أولا: نسب بني زيان.....
9ثانيا: حدود الدولة الزيانية.....
10ثالثا: تأسيس الدولة الزيانية (633هـ. 962هـ / 1235. 1555م).....
11رابعا: مراحل الدولة الزيانية.....
14خامسا: الحكام المناوبون على الدولة الزيانية.....
16سادسا: القبائل الزيانية.....
23الفصل الأول : نشأة الأسرة وديمومتها.....
24المبحث الأول : دور المرأة في الحياة الاجتماعية.....
241-الحضور السياسي للمرأة الزيانية:.....
252-الحضور العسكري للمرأة الزيانية :.....
273-حضور المرأة في مجال الاستخبارات :.....
284-حضور المرأة في المجال الاقتصادي :.....
32المبحث الثاني: مظاهر الاحتفالات - الزواج ، الطلاق.....

37.....	(1) الزواج :
45.....	(2) انواع الزواج :
47.....	(3) تحديد كيف كان الزواج في كل طبقة :
49.....	(4) الطلاق و الخلع بتلمسان في العهد الزياني :
53.....	(5) الخلع
57..... الفصل الثاني : بناء القبيلة في الدولة الزيانية
59..... المبحث الأول : مدى إرتباط القبائل
59.....	(1) مصاهرة بين السلطان يغمراسن و السلطان أبو اسحاق الحفصي
60.....	(2) مصادر بني أبي حمو و والي بجاية
61.....	(3) مصاهره بني السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي والسلطان أبي عبد الله أحمد المتوكل :
63..... المبحث الثاني: دور المصاهرات في بناء القبائل
63.....	(1) نظام المصاهرة
63.....	(2) نشأة المصاهرات
66.....	خاتمة

الفهرس

69..... قائمة المصادر و المراجع

75..... قائمة الملاحق

قائمة المختصرات

المختصر	الترجمة
د س ن	دون سنة النشر
ص	الصفحة
ط	طبعة
ج	الجزء

مقدمة

المقدمة

إن المتأمل للتاريخ المغرب الإسلامي والمتصفح في ورقات الأحداث والوقائع التي كانت في المغرب الأوسط في العصر الوسيط يدرك حقيقة الصراعات القبلية التي كانت تسيطر على أوضاع في تلك البلاد العربية من بني هلال وبني سليم هو ما يصلح عليه بالهجرة الهلالية والتي اختلف المؤرخون حول تأثيراتها السلبية أو الايجابية بيد انه يمكن القول أن القبائل العربية الهلالية التي دخلت إلى بلاد المغرب كانت هي المحرك الرئيسي لدواليب الأحداث السياسية وذلك من خلال وقوفها بجانب احد الأطراف المتنازعة على الحكم أحيانا أخرى فتعتبر القبيلة المحور الذي تدور حوله جميع الحكايات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتطورات الفكرية والثقافية في المجتمع الزيان وهذا نظرا للعدد الهائل من القبائل التي هاجرت واستقرت بالمغرب الأوسط وبدا تأثيرها واضحة في حياه ألدوله الزيانية التي تأسست من طرف قبيلة بني عبد الواد خلال سنة 633 هجري 1235 ميلادي وكان تاريخها السياسي متذبذبا حيث توالى سقوطها عدة مرات ورغم هذا استطاعت أن تعمر لها يفوق الثلاثة قرون حيث لعبت العصبية القبلية التي كان مصدرها القبائل البربرية والعربية وفي مقدمتها قبيلة بني عبد الواد دورا في منع هذا التاريخ والنفس العصبية كانت وراء إضعاف ألدوله بعدما انفصلت عنها العديد من القبائل التي كانت مواليه لها ولقد وقد احتلت القبيلة مكانه هامة في الحياة العامة للمجتمع الزياني، فنشأة ما يعرف بالروابط الأسرية و الزيانية و حضور المرأة الزيانية الإجتماعي والسياسي والإقتصادي والعسكري وغيرها أي حضورها داخل المجتمع و مكانتها، في كل فئة من هذه الفئات الإجتماعية، و يصاعد الزواج من أجل أهم هذه الروابط الأسرية بحيث يبدأ بالإحتفال وينتهي على عدت قواعد و قوانين تغلب عليها بعض العادات و التقاليد و ينقض الزواج بالطلاق و الخلع نتيجة لبعض المشاكل الأسرية و يعتبر المماليك و السلاطين المصاهرة أدوات فعالة لبناء القوة و يمزجونها بالأمر السياسية و بناء

على هذا المنطق و في هذا الإطار تدرج مذكرتنا المضمونة ببناء الأسرة القبلية في عهد الدولة الزيانية فلكل دراسة دوافع ينطلق منها الباحث فتكون حافزا في اختيار موضوع بحثي وقد كانت لنا مجموعه من الدوافع اختيارنا موضوع دراستنا وهي:

1) الدوافع الذاتية

- رغبتنا في معرفه دور القبائل في تاريخ الدولة الزيانية و كيفية نشأة الأسرة الزيانية و القبائل الزيانية.
- اهتمامنا بالتاريخ الدولة الزيانية كمبحث جديد لم نعرفه من قبل.

2) الدوافع الموضوعية

- ارتباط الدراسة بمكان وزمان محورين في الزمان وهو تاريخ الدولة الزيانية.
- قلة الدراسات التي توجهت لهذه الدراسة و خاصة بما يتعلق بالأسرة الزيانية.
- ندرة الدراسات التي اهتمت بنشأة القبائل الزيانية.
- معرفه كيف تجسدت الثقافة و بناء الأسرة و ديمومتها في الدولة الزيانية.

3) الإشكالية :

ولمقاربه موضوع بحثنا انطلقنا من إشكاليه وهي:

كيفية بناء الأسرة القبلية في عهد الدولة الزيانية؟

وتدرج تحت هذه الاشكالية مجموعه من التساؤلات منها:

- ما مفهوم القبليه على ضوء الفكر الخلدوني والفكر العربي عموما ؟

- ما رأي علماء الاجتماع والأنساب حول القبليه ؟
 - ما هي أهم القبائل البربرية التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني ؟
 - ما هي مظاهر الإحتلال و طرق إرتباط القبائل الزيانية ؟
 - ما هي أهم القبائل التي شملت هذه الهجرات ؟
 - وما أثرها في الدولة الزيانية ؟
 - كيف نشأة الأسرة القبلية في الدولة الزيانية ؟
- و للإجابة على هذه الاشكالات والتساؤلات المتفرعة عنها،عملنا خطة تشمل مقدمة و مدخل وفصلين وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع وصولا إلى الفهرس في الموضوعات ففي المدخل تطرقنا نبذه مختصرة عن الدولة الزيانية.
- في **الفصل الأول** تعرضنا إلى بناء الأسرة منها مرورا بدور المرأة في الحياة الاجتماعية وكذلك تعرضنا إلى المظاهر (الاحتفالات الزواج الطلاق) أي كيفيه بناء هذه القبيلة، أما في **الفصل الثاني** تطرقنا إلى بناء القبيلة في الدولة الزيانية تعرضنا الى مدى ارتباطها القبائل ودور المصاهرات في بناء القبائل وختمنا بحثنا بخاتمه وحيزة كانت محمله ببعض النتائج والاستنتاجات.

4) أهمية الدراسة :

- ✓ ايضاح الغموض الذي لف الحياة العامة لبناء الأسرة في عهد الدولة الزيانية ومحاولة الجمع بين بعض المحاولات الغربية لتشويه التاريخ خاصة فيما يتعلق بهذا العهد المؤرخين صورها على أنها مصطهدة و معنية كاملا في تقديم الحجر الإسلامي.

✓ دراسة الدور السياسي الذي لعبته الأسرة القباطلية في ظل الحكم الزياني للمغرب الأوسط وصولاً إلى نبوء مناصب سياسيه كما فصل أبناء جلدتهام في الدولتين الجاريتين الحفصية التي شهدت وصولاً لبعض المرينيين إلى اغلب المناصب في الدولة.

✓ تبين دور الاقتصادي في بناء الأسرة خلال عمر الزيانية وربطه باختصاصات التي شهدتها المنطقة والفترة المعنية.

✓ معرفة الحالة الاجتماعية للأسرة في هذا العهد، وهل تأثرت بعادات أهل البلاد أم أنهم حافظو على تقاليدهم الموروثة من أجدادهم وهل انصهروا الى المجتمع الزياني.

✓ إبراز المكانة الاجتماعية التي احتلتها الأسرة في الدولة الزيانية.

✓ دراسة الجانب الثقافي للأسرة الزيانية ومدى اهتمامهم بعاداتهم الثقافية.

5) أهداف الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة يوحى إلى تحقيق أمرين:

❖ التعرف على الدولة الزيانية وإبراز الثقافة السائدة في عمر هذه الدولة ومعرفة أثارها.

❖ كشف مضمون دراسة هذا المنهج التاريخي والوصف وما دعى إلى التأثير إلى هذه الثقافة

على الدولة الزيانية.

6) المنهج المتبع :

وعن المنهج المتبع في هذا البحث فكان جمعا بين عدة مناهج في المنهج الوصفي لسرد الوقائع والأحداث

ووصف حياه الأسرة في الدولة الزيانية.

7) الدراسات السابقة :

أما عند الدراسات السابقة التي تنازلت هذا الموضوع فهي قليلة جدا خاصة في عهد الدولة الزيانية

● القبلىة فى الدولة الزيانية (633 962 _ هجرى / 1555 _ 1235) مذكروه مقدمه لنيل

شهادة الماسٲر فى تاريخ المغرب الإسلامى والحضارى من إعداد محمد صديقى جامعة مولاي

الطاهر، سعيدة.

● القبائل العربية ومكانتها فى الدولة الزيانية مذكروه ماجستير من إعداد بن فرجه عبد المالك

جامعه وهران.

ولأنجاز بحثنا اعتمدنا على مجموعة من المراجع التي كانت عوننا لنا منها:

- يحيى بن خلدون: لعبة الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج2،

المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

- محمد بن عبد الله التنيسى: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم والعقبات فى مان شرف

بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعباد، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 2015.

وبعض المجلات منها مجلة عبد الرحمن بشير العصور الجديدة، ع 11-12 بعنوان المرأة المغربية فى نوازل

أبي قاسم البرزلي، جامعة وهران ، الجزائر ، 2014.

وبعض الرسائل و المذكرات منها رسالة بختة حاج جلول بعنوان المرأة فى المجتمع الوياني 633-962/

1235-1554 المتحصل عليها فى جامعة السانيا ، وهران 2014 ، 2015.

8) صعوبات الدراسة :

وكأي بحث فقط واجهتنا مجموعه من الصعوبات والعراقيل ولكنها لم تكن عثرة أمام طموحنا وتمثلت في:

__ ندرة المصادر والمراجع خاصة في عهد الدولة الزيانية.

__ صعوبة تحديد طبيعة الأسرة الزيانية و دورها في بناء القبيلة الزيانية.

وأخيرا لا يفوتني أني أنه بمجهود أستاذي المشرف الذي لم يأبى جهدا في تتبع خطوات هذه المذكرة وتوصيها فلولاها لما خرجت إلى الوجود كما هي فالله اسأل أن يسدد خطاياها في خدمته للعلم وطلبته، ونتمنى أن يكون عملنا هذا الذي لا ندعي فيه الإبداع ثمره ولبنه تضاف إلى حقل المعرفة لينتفع منه كل باحث تدفعه الضرورة للجوء إليه ولو بالقدر اليسر.

مدخل تمهيدي

القبائل الزبانية

مدخل تمهيدي: القبائل الزيانية

لقد عرفت بلاد المغرب الأوسط قيام العديد من الدول الإسلامية وكان من أبرزها وأهمها الدولة الزيانية أو العبد الواد كما ذكرتها وسمتها الكتب والمصادر التاريخية، وهذا ما سنحاول التطرق إليه من خلال هذه الدراسة.

وقبل الحديث عن قيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان لا بد أن نقف عند عوامل سقوط الدولة الموحدية حيث كانت هريصة الموحدية في معركة حص العقاب بالأندلس سنة 609هـ / 1212م وبداية لنهاية عهدهم، إضافة لازمة بنو عاوية والحروب التي كانت بينهم وبين بني مرين خاصة هريصة سنة 612هـ / 1216م، هي ثلاث سنوات من موقعة العقاب.¹ وبهذا يجدر بنا الحديث أولاً عن الدولة الزيانية ثم التطرق إلى قبائل الدولة الزيانية.

أولاً: نسب بني زيان

يعود نسب ملوك بني زيان إلى جدهم عبد الواد، أو عابد الوادي، وذلك أن أسماءهم تعددت من زيانيين وبني زيان وعبد الواد وبني عبد الوادي أو الواد، "فتسميتهم بالزيانية نسبة لجدهم عن أبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيان بن طاع الله بن علي بن يمل بن بزوخن بن قاسم بن محمد"² وأطلق عليه تسمية بني الواد ذلك لأنه كثير التعبد وخاصة

بأحد الأودية فأطلق عليه هذا اللقب واشتهر به أولاده ونسله من بعده، وبني عبد الواد هم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية.³

وقد قسم ابن خلدون بني عبد الواد إلى ستة هم: بن أداو، بنو ورهطف، ورنصوحة، وبنو تومرت، بنو قاسم.¹

¹ فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، حروف للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2002م، ص 14.

² سيخون بوداوية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2006م، ص 15.

³ محمد ابن حازم الظاهري الأندلسي: جمهرة أنساب الأندلس، تحقيق عبد السلام معارون، دار المعارف، مصر، 1962م، ص 495.

وقد اختلف بعض المؤرخين في نسب الزبانيين، وعبد الرحمن ابن خلدون رفض نسبهم إلى دراسة قائلًا: ويركم بنو القاسم هؤلاء أنهم أولاد بن إدريس وربما قالوا في هذا القاسم أنه ابن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس، زعمًا لا مستندًا له، إلا اتفاق بين بني القاسم هؤلاء عليه، مع أن العادية بعده عن معرفة هذه الأنساب².

ثانياً: حدود الدولة الزبانية

كان موقع الدولة الزبانية يشغل إقليم المغرب الأوسط، وقد عمل كل الحكام الذين تعاقبوا عليها، وعلى توسيع حدودها ولم تكن هذه الحدود ثابتة دائماً، فهي تتسع وتتقلص تبعاً للظروف السياسية التي كانت تعيشها والحروب التي كانت تخوضها ولأنها واقعة بين دولتين قويتين، الحفصية شرقاً والمرينية غرباً، وكان حجم رقعتها متعلقاً بحروب هاتين الدولتين معاً³.

وعموماً كانت حدود الدولة الزبانية تمتد من تحوم بجاية وطلان شرقاً إلى ملوية غرباً، وهي من الساحل شمالاً إلى إقليم نوات جنوباً، امتلك الزبانيون تلمسان وامتد ملكهم إلى دالس وهي قرية غربي بجاية ساحة البحر⁴. ويقول يحيى بن خلدون " هو في الإقليم الرابع أعلى الأرض مارجا وأفضلها نتاجاً ما بين الإفريقية والسوس الأدنى من المغرب الأقصى. علماً أن الحدود قابلة للتغيير دائماً.

¹ ابن خلدون أبو زكرياء يحيى: الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، بدرو فونطانا الشرقية، ج1، الجزائر، 1903م، ص 95.

² نادية توام: انتفاضات القبائل ضد السلطة الزبانية القرن (السابع . التاسع هجري، الثالث عشر. الخامس عشر ميلادي)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، ص 10.

³ محمد الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ج 2، 2007، ص 522. 545.

⁴ مبارك الصلابي: تاريخ الجزائر في القدم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، 2004م، ص 440.

وهذا لا يمكن أن تعطي حدود واقعية دائمة وثابتة لمعدن الدولة فهي لا سبق وقلنا، مرتبطة بالحروب التي عاشتها من جهة، التي كانت تدور من حولها من جهة أخرى، لكل الثابت أن عاصمتها لم تتغير مهما اتسعت حدودها، أو تقلصت، فتلمسان هي مركز الحكم ودار الملك كما يقول بن خلدون ودار ملكهم فيه وسط بين الصحراء والقل¹.

ثالثاً: تأسيس الدولة الزيرية (633 هـ . 962 هـ / 1235 . 1555 م)

ونطلب على هذا القبيل حياة الترحال بحثاً عن الكلاً والماء والرعي، وذلك من مننقة سحلماسة إلى منطقة الزاب، فتركزهم إذن كان في بلاد المغرب الأوسط أكثر من غيره، وقد استوطنوا ناحية تلمسان ودخلوا في خدمة الموحدين، بداية من القرن السابع للهجرة وحكموا هذه المنطقة باسمهم، وبذلك أفراهم الموحدون سيطرتهم على المنطقة، خاصة بعد تصديهم لبني عانية هناك، فثبتهم على الخليفة الأحدي: " أبو العلاء إدريس المأمون " على تلمسان، وكان دخولهم إليه سنة 627 هـ / 1299 م بأمر قائدهم " جابر بن يوسف بن محمد " ²، وبعد وفاته سنة 629 هـ تولها ابنه الحبش الذي استند بالرأي وأساء السيرة مع كونه فطنا وقاسياً فقدم بنو عبد الواد مكانه ابن عمه أبو عرة زيدان ابن زياد سنة 631 هـ 1235 م ³ فقام مقامه أخوه يغماسن بن زيان، الذي يعتبر أول من استقل من بني عبد الواد بالأمر عن الموحدين فاستند بالأمر عليهم وتحلى تحليه الملك وحرى على مرتبته، ولم يبق عليهم غير الدعاء على المناير ⁴.

¹ يحيى بن خلدون: لعبة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج2، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص 281.

² نفس المرجع، ج1، ص 198.

³ محمد بن عبد الله التنيسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم والعقبات في مان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعباد، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص 113 / 115.

⁴ أحمد بن عبد الله القلقشندي: مآثر الإقامة في مراكز الخلافة، ج 2، تحقيق: عبد الستار أحمد فواج، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1985م، ص

يذكر ابن خلدون أن سعيد عثمان شقيق السلطان الموحيدي، قام باعتقال مشايخ بني عبد الواد محاولة منه القضاء على نفوذهم في المنطقة ابراهيم بن اسماعيل بن علان الصنهاجي اللهتوني متشفعا فيهم، لكن شفاعته لم تقبل، فنار ابراهيم عليه واعتقله وقام بإطلاق سراح مشايخ بني عبد الواد، معلنا خلع الطاعة للموحيدين والغرض من ذلك هو نصرته بني عانية التي كانت تهدف لإحياء دولة المرابطين في بلاد المغرب¹.

وبعد دخول جابر بن يوسف وإخوته تلمسان وأعلنوا الدعوة والطاعة للمأمون الموحيدي الذي عهد له بولاية تلمسان وما يليها من بلاد زناتة، سعى لإخضاع القبائل المجاورة فاتجه نحو ندر أهلها الانطباع، فاضطر لمحاصرتهم لكنه لقي حذفه بهم في أواخر سنة 627هـ².

بعد وفاة جابر بن يوسف خلفه ابن الحسن الذي تخلى عن الحكم بعد ستة أشهر لصالح عمه عثمان بن يوسف مصلح 630هـ / 1232م ثم عزة زيدان بن زيان الذي عرف بشجاعته فانصاعت له معظم القبائل والبوطون باستثناء بني مطهر وبني راشد تضطر في محاربتهم القتل في إحدى المعارك سنة 633هـ / 1295م، خلفه يوغمراسن بن زيان³ الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة الزبانية.

رابعا: مراحل الدولة الزبانية

لقد عرفت الدولة الزبانية منذ نشأتها تطورا تدريجيا وفيما يلي أهم المراحل التي مرت بها:

¹ عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتابة الجزائرية، 1984م، ص 309-313.

² يحيى بن خلدون: العبرة وديوان المبدأ والخبر ومن عناصرهم من ذي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 1، 2000م، ص 86.

³ ابن خلدون أبو زكرياء يحيى: عبرة الرواية في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مرجع سابق، ج 7، ص 157.

1/. العهد العبد الوادي الأول (633 هـ / 737 هـ / 1232 . 1337 م):

تولى الحكم أول السلاطين الزبانية مثلما انفردنا به سابقا يغمراسن بن زيان ومن بين الآثار التي خلفها في عهده هو تشييده للحرج العظيم المعروف بالمشور وهو مقر التشاور بين الشلطان ووزرائه، والذي لا تزال معالمه موجودة الآن بذنوب، إضافة لبنائه بأن كشوط سنة 633 هـ / 1270 م في الجهة الغربية للمدينة وكذلك مأذنة الجامع العتيق وجامع ثاقران¹.

2/. عصر أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (603 هـ / 1206 م – 680 هـ / 1282 م):

عرف عصره بكثرة الثورات من لدن القبائل البربرية المعارضة للدولة الزبانية، كما استولى على عدة مناطق مثل مازونة وتنسى وغيرها وبذلك استطاع أن يحافظ على أراضي الدولة مثلما كانت في عهد يغمراسن، لكن اللافت في هذه المرحلة هو الحصار الذي تعرضت له تلمسان من قبل بني مريني والذي دام في سنوات، ويقال أن أبا سعيد توفي خلال ذلك الحصار ليتولى بعده أبو زيان محمد (703 . 707 هـ / 1303 . 1308 م) الحكم في ظروف اول ما يقال عنها أنها مأساوية للغاية كون الدولة فقدت أغلب أملاكها واستقلت عنها عدة قبائل وانقسمت مع القوة المرينية، أما المستوى الحضاري فقد شيد خلال فترة حكم مسجد أبي الحمل البديع سنة 696 هـ / 1269 م وقبل أيضا أن السلطان المريني أبو يعقوب يوسف اختط صلاحها مدينة المنصورة².

¹ الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة المؤسسات في التعريف بالحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة

2015م، ص 65.

² مرجع نفسه، ص 70.

3/. عصر أبو موسى الأول (703 هـ . 718 هـ / 1308 م . 1318 م):

أهم ما يميز هذا العصر هو السيادة و السلطة لهذا السلطان، من خلال إعادة بناء ما خربه المرينيون، واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة وتكريس سياسة التوسع إلى يغمراسن وذلك باء في محاولة منه للاستيلاء على بجاية.¹

جدير الذكر أن أبو حمو موسى الأول كان حازما وامتد ملكه إلى بجاية فما لاواه الزان جنوبا وكثرة منشآته العمرانية داخل تلمسان وأما خارجها فقد أنشأ قصرا عظيما ومدينة أقبو في جنوب بجاية وفي عهده عاود المرينيون سنة 714 هـ / 1314 م محاصرة تلمسان من جديد.²

4/. عصر عبد الرحمن (بوتاشنين 718 هـ . 737 هـ / 1318 . 1337 م):

اعتبر هذا الأمير من أقوى أمراء الدولة بعد يوغمراسن بعد تمكنه من إجماد الثورات التي عرفتها الدولة ووضع حدا لمطامع قبيلة مغوادة التي كانت تطمح لإقامة دولة، عرفت تلمسان خلال هذه الفترة ازدهارا في جميع الميادين الثقافية، الاقتصادية والعمرانية، الأمر الذي أدى إلى ظهور تحالف مريني حفصي لكبح هذه القفزة النزعية التي عرفتها الدولة الزبانية.³

5/. عصر أبو سعيد وأبو ثابت (749 هـ . 1350 م):

تمكن الأميران أبو سعيد وأبو ثابت من إعادة إحياء الدولة من جديد تقسيم الحكم بينهما وتوحيد القبائل، لكن واجههما النظام مجددا ولم يستطيعا المقاومة ليتم احتلال الدولة من جديد⁴ ومن خلال فترة حكمهما أحفض أبو

¹ Atallal shena , le réseaux Abdelouahid a lapes que d A bou Hanou Moussa 1 ére, Alger , Office des applications universitaires, p 94.

² الحاج محمد صالح شاوش: باقة المؤسسات في التعريف بالحاضرة تلمسان، مرجع سابق، ص 74.

³ مختار حساني: تاريخ الدولة الزبانية، الأحوال السياسية، مرجع سابق، ص 12.

⁴ الحاج محمد صالح شاوش، مرجع نفسه، ص 13.

سعيد أبو الشؤون الصلابية بينما أكمل أبو ثابت العسكرية لشدة صرامته وفي عهده تعرضت تلمسان للحصار المريني للمرة الثانية وقتل أبو سعيد كما قتل بعده أو ثابت وبمقتلهما انقسمت المقاومة وحل محلها الاحتلال الحربي¹.

6/. عصر أبو حمو موسى الثانية (791.760 هـ / 1389.1359 م):

هذا السلطان اغتتم فرصة الأوضاع والاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية في عهد سلطانها إلى... وبمساعدة قبائل تسكن من استعادة أبعاد الدولة الزيانية، لكن استمرار توارى القبائل البربرية وانقلاب القبائل القومية عليه وفقا في القطر المريني دفعه إلى التخلي عن تلمسان والتوجه صفوف الصحراء قرار من الجيش المريني²، أبو حمو موسى الثاني أحيا الدولة من جديد وأفرغ بني مرين من تلمسان وكان رجلا شجاعا ذو مروءة وشهامة ودام ملكه إحدى وثلاثين سنة، ومن أهم تشييد جامع سيدي ابراهيم السمودي ، الجامع الكبير³.

7/. عصر المتوكل (866 هـ . 873 هـ / 1461 م . 1469 م):

بدأ بتنظيم الأمور السياسية أولا ولم شتات الأسرة الزيانية القضائية على النزاعات بين أفرادها ورغم ذلك واجه بعض الصعاب والثورات مثل معركة وجدة بقيادة محمد بن غالية أين تمكن من هزيمه⁴.

خامسا: الحكام المناوبون على الدولة الزيانية

حكم دولة بني زيان حوالي سبعة عشر حاكما متناوبين عليها تباعا ومن أهمهم:

¹ الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، مرجع سابق، ص 84.

² مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، مرجع سابق، ص 14.

³ الحاج محمد بن رمضان شاوش: مرجع نفسه، ص 89.

⁴ مختار حساني، المرجع نفسه، ص 16.

يغمراسن بن زيان (633هـ إلى 681هـ / 1235م . 1282م): يعد المؤسس الفعلي للدولة وكان ارتباطه بالخلافة بمراكش، وكان استغلاله في الملك أيام الرشيد عبد الرحمن بن إدريس المأمون، وهذا الأخير حاول أن يبقى على يغمراسن ويكون تابعا لدولته،.....إليه مهدية عديمة لكي يحافظ على بقاء الخطية لهم وقد توصى يغمراسن لكل السياسات بغضب وشدة وكان يسعى طاهرا للقضاء على كل نفوذ كان ضدهم واستطاع بعظمته وعدته أن ينتصر عليهم فكانت الهريضة للخليفة الموحد، واستطاع أن يقيم دولة قوية عاصمتها تلمسان سنة (633هـ . 1235م).

أبي سعيد عثمان (703 . 681هـ / 1282م . 1304م): تميز عهده بنشوب العديد من الثورات من طرف القبائل البربرية للدولة الزيانية أمثال: بتوتوجين، إذ تمكن من انتزاع جبل الونشريين وما حولها، وقد حكم الدولة في ظروف صعبة ومأساوية ويقال أنه توفي بعد الحصار مباشرة.

أبي حمو موسى الأول (718 هـ . 707 هـ / 1307 م . 1318 م): حسب ما يصفه هو ملك همام وشعلة وغمام، وبمهمة مراس وأسد بطلش وافتراش، معيد المدن ومفرج الشدة، والمقاتل نشيف لأهل الركة، وقد تميز عهده بإصلاح ما تهدم من خلال الحصار المريني واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة.¹

عبد الرحمن أبو تالفين (737 هـ . 718 هـ / 1718 م . 1337 م): كان حازما وسياسيا ماهرا، قام بإبعاد أقاربه إلى الأندلس خشية الانتقام لولده، عرفت تلمسان في عهده ازدهارا في جميع الميادين لكنه لم ينعم بهذه العمامة التي وصلتها الدولة، لذا عين من بعده أو ثابت وأبو سعيد.

¹ نادية توام: انتفاضات القبائل ضد السلطة الزيانية (القرن السابع و التاسع هجري إلى الثالث عشر و الخامس عشر) مذكرة لنيل شهادة الماستر وحضارة المغرب الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2014 . 2015م،

أبو سعيد وأبو ثابت (749هـ / 1350م): قد تمكنا من إحياء الدولة، واجها الأخوان الخطر المريني ولم يستطيعا إيقافه.

أبي حمو موسى الثاني (791 هـ . 760 هـ / 1359 م . 1389 م): كان السلطان منفيًا وكان يمتلكه شوق شديد لإطلاق سراحه، واغتنم فرصة الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية، وعاد من منفاه وقد دخل وتم بذلك القضاء على الحامية المرينية وقد تميز عصره باستمرار ثورات القبائل البربرية على الدولة الزيانية وكثرة الخطر المريني وتم القبض عليه وقتها.

المتوكل (873 . 866 هـ / 1442 م . 1468 م): جمع أفراد الدولة الزيانية، واضطر إلى العودة للحفصية والمرينية للقضاء على النزاعات لكي تستطيع الدولة أن تحافظ على القوة والاستمرار.¹

سادسا: القبائل الزيانية

إن القبائل على خلاف نسبتها سواء بربرية أو عربية قامت بأدوار مختلفة في رسم الأحداث السياسية والعسكرية وحتى الاقتصادية في قيام الدولة الزيانية ونشوتها وبناء أركانها وتوسع رقعتها وفي ما يلي اهم هذه القبائل الزيانية والمتمثلة في:

أ/. القبائل البربرية:

البربر هم العنصر الأصلي في بلاد المغرب الأوسط، وهم من ولد كنعان بن حام بن فوع، وكلمة بربر أطلقوها الرومان قديما على شعوب شمال إفريقيا وتعني منهم يتكلمون بلغة لا يفهمونها الرومان² ومن أبرز القبائل البربرية

¹ نادية توام ، المرجع السابق، ص 13، 14.

² شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدولة والإمارات، دار المعارف - القاهرة - مصر ، د س ن ، ط 1، ص 51.

التي استوطنت بلاد المغرب الأوسط نذكر قبائل زناتة أقوى قبائل عدة وعددا وتنسب إلى ما دعيس¹ ومن القبائل البربرية التي عمرت الجزائر هو متفرع من فلان شعوب عظيمة: صنهاجة وزناتة².

وتعد هذه القبائل الزعامة الأساسية في الجيش نظرا لقيام الدولة الوادية، وعلى العصبية القبلية وهي عصبية زناتة، ويذكر ابن خلدون (8080/1405م) أن لذه القبيلة الكبيرة فروع عديدة لا تحصى ولا تعد منها: مغزواة وبني وتقرب وبني برليان ووجد لحن وبني ويخفش وبني واتشيين وبني تيغرس وبني بوحين وبني راشد وبني ورنيد وبني زنداك وغيرهم، إلا أن دور الحضور المكلف لهذه القبائل لم يكن دائما بعدم الدولة الزيانية وإنما كان هناك انشقاقات وحالات العصيان وأدت في كثير من الحالات غلى انهزام الجيش واحتلال تلمسان وتجدد الإشارة إلا أن هذا الصراع قائم على المجال الذي كانت تستفيد فيه هذه القبائل حيث ظل التناقض حول موطن هذه القبائل وغالبا ما كانت هذه القبائل تعلن ولائها للمرينيين أو الحفصيين عندما تكون تلمسان تحت سيطرتهم كنوع من الانتقام من السلطة لعبد الواد³.

ب./ القبائل العربية:

عندما وصل الاسلام لديار الجزائريين ودخل العرب الفاتحين إلى العربي، اختلطوا بالبربر وامتزجوا بعصور بعض من غير اندماج، فتصاهروا وتساكنوا في المدن والضواحي⁴ ولقد وجد الوافدون من المغرب إلى الجزائر قلوبا واسعة لتقبل الدين الجديد وأبوابا مفتوحة لاستقبال القادمين من الشرق، وهذا ما لم يفعله البربري من قبل وبهذه السرعة وعلّة

¹ مختار حساني: مرجع سابق، ج 3، ص 51.

² محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 07.

³ مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القدم والحديث، ج 2، ص 43.

⁴ ابن عزان: لبيان المغرب، ج 1، بيروت، 1951م، ص 43، و محمد شيق خطاب: قادة فتح بلاد المغرب، ج 1، دار الفكر، ط 1، 1945م، ص

هذا النوع، لأنه أدرك بفضيلة السليعة أن المسلمين أصحاب الرسالة السماوية قدموا لتدليلها وأنهم لم يدخلوا أزمة للسيطرة عليه أو لنهب جدران بلاده وعليه راح البربر يمتزجون بالعرب على نطاق واسع¹، وفضلا عن القبائل البربرية هم الجيش الزياني كذلك هي مجموعة من القبائل العربية منها: قبائل بني عامر التي تتميز بكثرة الرجال والخيال والسليم والمعقل والتعالية²، وسنحاول التطرق إلى هذه القبائل في ما يلي:

1/. قبائل بنو عامر: يرجع أصل نسبهم إلى عامر بن رغبة بن ربيعة بن سهيل بن هلال بنو عامر بن صعصعة، أحد بطون هوران بن منصور بن عكرمة بن يزيد حفصة بن قيس بن عيلان، وهو بطن من بطون قبيلة رغبة من بني هلال³.

أما مواطن قبيلة بني عامر بعد انتقائهم من موطنهم الأصلي إلى إفريقية استعاروا بجوار إخوتهم بني يزيد جنود موطن حمزة والد هوس، وبحكم الظروف انتقلوا إلى تلمسان في القرن الأوسط، وهناك تميزوا بالشجاعة الفائقة مما نتج عنها الثروة الطائفة⁴.

2/. قبائل بنو مالك

هذه القبيلة من رغبة وهم بنو مالك بن طريف بن قيس بن عيلان، موطنهم جنوب بنو لوحين المستولين على ما بين لمديه أو السخيفة، ولها ثلاث بطون سويد بن عامر بن مالك، لها بطنان هما العظان من ولد عطاق بن

¹ حسينة عميروش : انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (962.633 هـ / 1555.1235 م)، أطروحة مكملة لشهادة الدكتوراه الطور الثالث في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017. 2018م، ص ص 11، 14.

² خالد بلعربي: النظام العسكري بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني ضمن كتاب ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 16.

³ محمد بن أحمد بن الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، البرنامج الوطني للبحث كراسك، ردمك، 2005م، ص 69.

⁴ عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عناصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص 68.

الرومي بن حارث¹ فاستولت السويد على بلاد توحين ما عدا جبل تشريرض وكان لها المنزلة العليا في دولتي بني زيان وبني مرين².

3/. قبائل بني يزيد:

وهي بطن من بطون بني رعبة التي ناصرته دولة الموحدين وكانت تقطن بلاد حمزة إقليم بجاية وتكلفت بجمع بجاية هذه المناطق أي صنهاجة وذوارة، ومن أهم بطون هذه القبيلة عود حصيان بن عفية وهم بطن من بطون يزيد عرب بني عامر كانوا رجالا غير مستقرين³ وغيرها من القبائل الأخرى.

ولقد كانت هذه القبائل العربية تمتاز بالنهب والخراب⁴، القبائل الهلالية وقبائل رغبة والمعتقل ولم يقدر على إخضاعهم لا الأمويون ولا العباسيون ولا الفاطميون، فأكثروا الفساد وتضررت منهم البلاد والعباد، أما عن دخولهم إلى بلاد المغرب فكان في إطار ما قام به الفاطميون في مقر حينما قاموا بإرسال مجاز من هذه العرب الهلالية إلى بلاد المغرب من أجل الانتقام من قبيلة كتامة⁵.

وذكر مارمول كرنجال أن حكم العرب في بعض مناطق من الدولة الزبانية |، كان يشبه الحكم المركزي بقوله: "أعراب الصحراوي كثيرون ولا يكثرثون إلا قليلا نجد أن ملوك تلمسان وهذا راجع لقوة العرب وجعل السلطة الزبانية كما كان هؤلاء العرب ترخيص من قبل السلاطين السيطرة على بعض المناطق⁶، فاختلاط هذه القبائل

¹ عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المتبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عناصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المرجع السابق، ص 59.

² محمد مبارك الميللي، مرجع سابق، ص 200.

³ عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، مطبعة المالكية، الرباط، المغرب، ج1، 1968، ص 423.

⁴ مبارك بن محمد الميللي: مرجع سابق، ج2، ص 179.

⁵ عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 162.

⁶ مارمول كرنجال، إفريقيا، ج2، تر: محمد حاجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م، ص 292.

العربية مع البربرية داخل تلمسان وفي محيطها عن طريق الزواج والاشترك في الجيش والتحالفات وغيرها، وهذا الاختلاط وصفه ابن خلدون في كتاب العبر ويأخذ بمذاهب العرب في دينهم ولغتهم وسائر شعائرهم، وفي النهاية انضمت هذه القبائل إلى الجيش الزياني وشاركتهم في الحروب وجمع الضرائب أدى لها إلى الاستحواذ على أراضي بني عبد الواد التي حصلوا عليها في شكل قطاعات.

والخلاصة التي توصلنا إليها في ما يخص القبائل البربرية والعربية في العهد الزياني تمثلت في أنه إذا كانت الدول السابقة بالمغرب الإسلامي قامت على أساس حركات دينية، فإن يغمراسن بن زيان قد نحي منحى آخر، اعتمد في بناء دولته على قبيلة بني عبد الواد، والاستعانة بالقبائل البربرية والعربية التي استوطنت المغرب الأوسط، والتي تمكن بفضل دهائه وحكمته من توجيهها حسب مصالحه المشتركة معهم أو المصالح الذاتية للدولة، فالقبائل البربرية لم تكن كلها تكن الود لبني عبد الواد، فقد كان منها من قدمت لها . الدولة العبد الوادية . فروض الولاء والطاعة، وشاركت في تأسيس مجدها وتوضيح رقابتها مثل: بني واسين، أولاد منديل، كوهية، بني بلومن، بني واماتوا، بني ورسيد، هواره، وغيرها من القبائل البربرية التي كان يتشكل منه المغرب الأوسط على عهد الدولة العبد الوادية¹.

¹ محمد مبارك الميلبي ، مرجع سابق، ص 224، 225.

الفصل الأول

نشأة الأسرة وديمومتها

الفصل الأول : نشأة الأسرة وديمومتها .

تعتبر الدولة الزيانية (33 هـ - 962 هـ / 1235 م ، 1555 م) ، واحدة من أقوى السياسات التي قامت بلاد المغرب الأوسط، حيث كانت تتوسط الدولتين الحفصية من الشرق والمرنية من الغرب ، وقد كان للزيانيين دورا بارزا في جميع المجالات مما أدى إلى ازدهار سياسي ، اقتصادي ، اجتماعي ن بالإضافة إلى الجانب الفكري والثقافي ولا يمكن لنا أن نتصور هذا الرقي والازدهار دون لبنة المجتمع الزياني ألا وهي المرأة ، ولقد حرص الإسلام على تحقيق المساواة في جوانب الحياة العامة بين الرجل والمرأة ، فقد نشأت بناء على ذلك منشأة تتكون من سكان البدو والحضر و ساوى الإسلام بينهم في جوانب الحياة العامة ، في قوله تعالى : " وهو الذي خلقكم من نفس واحدة " ، سورة الأعراف الآية 129 ، ويميل بعض المتطرفين إلى تعمد فهم روح الإسلام ، فيدعون ان الإسلام انتقص من قدر المرأة عندما أغفل المساواة بينها وبين الرجل في الشهادة والإرث¹ ، ووجب الإسلام رعاية المرأة ، لأنها الأم والأخت والزوجة والعمة والخالة أي أساس بناء الأسرة وديمومتها او يقع ذلك على عاتق الرجل² ، ففي الدولة الزيانية حظيت المرأة بحقوقها وواجباتها كما نص عليها الشرع ، وعليه حث على معاشره النساء بالمعروف أي التزواج ، إضافة إلى ذلك أن المرأة كانت تحافظ وتدير شؤون الدين وتربي الأطفال ، وتعلمهم وتسهر على راحتهم من خلال توفير حاجياتهم بممارستها حرفة الخياطة والتجارة والغزل وباء على هذا فقد عدت المرأة المصدر الأساسي لبناء الأسرة الزيانية وديمومتها .

¹ سعيد عاشور : المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، سوسة: تونس : دار المعارف للطباعة و النشر، 1994، ص 11.

² حسان حلاق : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1، 1989، ص 24.

المبحث الأول : دور المرأة في الحياة الاجتماعية.

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها ، وأوضح لها واجباتها نحو زوجها واطفائها ، ومجتمعها وأزال الفوارق التي كانت بين الناس ، كما أزالها بين الرجال ، إلا بالعمل الصالح والتقوى ، وحث الرجل على معاشرته النساء بالمعروف ، وتركهن بالمعروف وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بمن خيرا.

وبالرغم من قيود العادات الاجتماعية والسلطة المطلقة للزوج على زوجته وأسرته ، التي حولها له العرف والتقاليد ، فإن ذلك لم يقلل من الدور الهام ، الذي كانت تضطلع به المرأة إلى جانب الرجل في الحياة العامة ، فعلاوة على تدبير شؤون المنزل والقيام بأعبائه وتربية الأطفال ، كانت تنشط في مجالات مختلفة كالغزل والخياطة والتجارة والتمريض ، والخروج إلى السوق لاقتناء حاجياتها¹.

وفي هذا النطاق شهد تاريخ الدولة الزيانية شخصيات نسائية يشار إليها بالبنات أزين أدوارا لا يستهان بها في تسيير دفة الحكم واخريات كان لهن دور على الصعيد العسكري ، ولمعرفة هذه الأدوار بصفة دقيقة ومحددة لا بد من تناول نشاطها من حيث مختلف الأدوار التي لعبتها طيلة عمر الدولة .

1- الحضور السياسي للمرأة الزيانية:

على الرغم من أن المرأة أكبر المتضررين من الحرب ، فإننا لا نعدم بعض النصوص التي تثبت أنها قامت بأدوار هامة ، وحركت حلف الستار أمهات القضايا السياسية كالمشاركة في المفاوضات من أجل إيقاف الحروب أو رفع الضرر على الأهالي².

¹ عبد العزيز فيلاي ، مرجع سابق ، ص 292.

² حسية عمروش ، " المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633 هـ - 696) 1235م - 1555م) ، قراءة في الحضور السياسي والعسكري" ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 29 ، جامعة الواد ، الجزائر ، جوان 2017 ، ص 58 .

إن الأساس الأول للمجتمع عامة والأسرة خاصة هو المرأة وهذا ما يبرز في الدور الفعال الذي تقوم به المكانة المرموقة التي تحتلها هاته الأخيرة ، وكذلك نظرة الإسلام في حفظ حقوقها جعل لها منزلة مهمة وممكنها من فرض وجودها ، وذلك بمجموعة عادات وتقاليد ميزتها عن باقي النساء الأخريات .

وتمثل دور المرأة من خلال الحضور السياسي في تثبيت الحكم بحيث تستفيد مما ذكرته المصادر التاريخية وخاصة الزيانية منها لأن أمهات الأمراء وزوجات السلاطين كان لهم دورا فعلا في تثبيت وترسيخ الحكم ومن الأسماء النسوية التي تعرضت لها المصادر التاريخية زوجة أخ يغمراسن بن زيان .¹

اما ألمع النساء الزيانيات اللواتي كان لهن دورا فرديا في مرحلة تعرضت لها تلمسان للغزو الحفصي هي أن السلطان يغمراسن (633هـ - 681هـ / 1235م - 1282م) ، ولوجودها بالقرب من السلطنة مهد لها دورا مهما في الدولة الزيانية .²

إلى جانب أن دور المرأة يتمثل أيضا من خلال المظاهرات السياسية ، بحيث كان للمرأة الزيانية دورا فعالا في توثيق الصلات بين الزيانيين والحفصيين والمرينيين، ولتخفيف الشدائد والأخطار عن طريق المصاهرة .

2- الحضور العسكري للمرأة الزيانية :

كانت المرأة التلمسانية تشارك الجند في المعارك ضد العدو بالقتال والتشجيع ، ورفع معنويات المقاتلين ، بما تحذته من صوت وعبارات وتلميحات وسلوكات وتفطن لها بنو زيان ، كما تفطن لها بنو مرين ، فكانت المرأة تجابه الشدائد ، والأموال في الحروب في ولها تأثير على الناحية النفسية والوحدانية، بحيث كان لها دور فعال في

¹الحسن بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، مرجع سابق ، ص 110.

² عبد الرحمن بشير ، المرأة المغربية في نوازل أبي قاسم البرزلي ، مجلة العصور الجديدة ، ع 11-12 ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2014 ، ص ص

التحميس والتشجيع ، وتحريك الهمم فكانت تخرج وراء الجند في هوداج فوق الجبال ، تنشد أرقى الألحان بكلمات معبرة ونبرات حادة نافذة إلى القلوب وهي تلبس أفخم الملابس ومثال ذلك معركة " وادي تلاغ " التي خاضها السلطان يغمراسن وجيشه ضد بني مرين ، بقيادة السلطان يعقوب المريني ، فظهرت في هذه المعركة نساء الفريقين خلف المقاتلين ، في الهوداج تحرض على القتال والنزال .¹ وهذا يعين أن دور المرأة الزيانية لم يتوقف على التدخل في الأمور السياسية السليمة فحسب وإنما وصل إلى غير ذلك أي أنه تعدى إلى الأمور الحربية والعسكرية، " فعندما هاجم أبو الحسن المريني مدينة تلمسان ، كانت نساء تلمسان تحتضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار ، وقد اقتربت إحداهن ودنت من مقام أبي الحسن المريني ، ورفعت صوتها تنادي بني زيان ، وتحثهم على المقاومة والصمود ، وكانت في نفس الوقت تهجو سلطان بني مرين وجنده ، وتكيل لهم الشتائم ، فرد عليها أبو الحسن بقوله : " الشتم حيلة "المغلوب" . " ² وفي هذا الصدد يبرز دور المرأة الزيانية في مشاركتها في الحروب والمتمثل في المشاركة بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق القتال أو إثارة الحماس والمنع والتخفيف .

ويمكن القول من خلال دراستنا لدور المرأة الزيانية في المجال العسكري والسياسي ، تسجيل توجهها خاصا ملمة بالشأن السياسي عكس المجال العسكري الذي لم نسجل فيه أسماء نساء ، إلا أنها لاحظت حضورها في الحروب والصراعات التي خاضتها الدولة الزيانية سواء مع الحفصيين أو المرينيين خاصة ، التي كانت معهم الحرب سجلا طويلا لا ينتهي ، ونتيجة لهذه الصراعات عانت المرأة من القتل والسلب و الاغتصاب فكانت أكبر المتضررين ، وانعكس هذا الوضع إلى عدة مجالات أخرى في حياتها اليومية .

¹ عبد العزيز فيلاي ، مرجع سابق ، ص 293.

² المرجع نفسه ، ص ص 239،294.

3- حضور المرأة في مجال الاستخبارات :

كان للعنصر النسوي حضور في مجال الاستخبارات ، ومراقبة التجار وتفتيش النساء ، في أبواب المدينة ، استعملتهن سلطات ورؤية موكبه في الأعياد ، والتنزه في الحدائق العامة والملاعب والبنائيات والأماكن السياحية التي يزخر بها محيط تلمسان ، وتزور المقابر وأضرحة الأولياء للتبرك والترحم على الموتى ، وكان الكثير منهن تجاوزن ضريح أبي مدين في العبادة ، حتى أنكر عليهن فروجهن أحد الفقهاء¹ .

وهذا يعني أن المرأة الزيانية لها دور كبير في مجال الاستخبارات والتي كانت تلعب فيه دورا حيويا في مجال الاستقرار والأمن واستعمل فيها الرجال والنساء الجوازي لأغراض استخبارية ضد المناوئين والمعرضين للدولة في الداخل وقد عرف بنو عبد الواد أساليب الاستخبارات وطرقها وأسرعها .

ويرى ان " أبا سعيد عثمان بن يغمراسن " قام بإهداء جارية وسيمة رومية إلى نظيره " أبي يعقوب يوسف المريني " بعد أن درها على أسلوب الكتابة السرية وعلى التحسس والتقاط الاخبار ، فكانت الجارية تبعث له المعلومات الهامة التي تتعلق بالبلاط والخطط ونواياه² . ومن هذا المنطلق يتأكد لنا ان للمرأة دور فعال في المجال الحربي والقتالي من خلال عملية الاستخبار التي تعتمد على المراقبة والتفتيش .

فعمل المرأة داخل البلاط الزياني بالشؤون الإدارية الخاصة بالقصر الذي يعرف بجهاز الموظفين الآتي يسيرون الشؤون الخاصة لزوجته السلطان ، هذه الوظيفة هي قهرمانه أي مدبرة القصر وكانت هذه الظاهرة متفشية داخل القصر الزياني³ ، ويرتبط هذا الدور بالدور السياسي والعسكري في آن واحد .

¹ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، مرجع سابق، ص 294.

² مرجع نفسه، ص 25 .

³ بختة حاج جلول ، المرأة في المجتمع الوياني 633- 962/1235-1554 ، مذكرة ماجستير ، جامعة السانبا ، وهران 2014 ، 2015 ، ص

ومن خلال إحدى البعثات برزت دور الجاسوسة الرومية حينما ذهب " أبو إسحاق التنسي " في مهمة مع الخطيب ابن الخطيب ابن كاتب الدولة الزيانية وحاجبها ، فطلب الخطيب أن يخلو بالأخير المريني ، وأطلعه على بعض أسرار البلاط الزياني ، فسمعتة الجارية التي كانت تقف خلف الستار فكتبت للسلطان " أبي سعيد " وأخبرته بالأمر هيكل بأسرة الخطيب و والده الوزير وقتلوا قتلا شنيعا .¹

4- حضور المرأة في المجال الاقتصادي :

لم تكن المرأة الزيانية محجوبة داخل المنزل على الخصوص الطبقة الراقية بل كانت تتجه إلى المنتزهات التي توجد داخل المدينة أو خارجها ، دفعتها إلى الخروج إلى السوق لاستحضار مطالب الأسرة ، إلا أن خروجها يتم إ لا بمراقبة أحد أفراد العائلة من الذكور لكن مؤلفي النوازل يذكرون أن امرأة كانت تتوافد على سوق الغزل وسوق العطارين والصياغين وسويقة نشر الجلد² ، بحيث كانت المرأة الزيانية تقتدر بتعليم بناتها الحرف المتداولة بين العائلات مع إبراز أهمية العمل حين يكون الزوج فقيرا و لعل من أبرز الحرف التي اشتهرت بها النساء في أراضي الدولة الزيانية صناعة الزرابي والخياطة والطرز والغزل والمرأة هي المصدر الأساسي لهذه الصائفة التي يبدو انها عرفت ازدهارها في العهد الزياني ، وعلى الخصوص في عهد قوتها³ ، وهذا يعني أن المرأة كانت تمارس التجارة من البيع و الشراء وغيرها من الأعمال الأخرى ومن هذه الأعمال نذكر منها :

أ- النشاط الفلاحي :

حيث قامت بعض النسوة وخاصة الدوريات بأعمال تدخل ضمن اختصاصات الرجل ، كمشاركتها له في أشغال الحقل ، حيث قامت المرأة الزيانية بعملية السقي وجلب الحطب وأيضا حرث الأرض ، واقتلاع الأشجار ،

¹ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد، مرجع سابق ، ص 26 .

² مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، مرجع سابق، ص 199.

³ المرجع نفسه ، ص 90.

والمساهمة في بناء الدور وحصاء الزرع ، كما تقوم برعي الماشية وتربية الدواجن ، وما يختص بها من علف وسقيها وحلبها واستخراج الزيت من لبنها وإضافة إلى جني الزيتون ، وقطف العنب وغيرها من المحاصيل الزراعية ، وعليه نستنتج بأن المرأة الزبانية استطاعت في النشاط الفلاحي أن تنهض بتنمية اقتصاد العائلة سواء بعملها المباشر كزوجة او بتوكيلها لمن يقوم بذلك كالزوج مثلا ، اما بالنسبة للمرأة البدوية فقد كان تركيزه كبيرا في المجال مقارنة بالمرأة الحضرية ، بحكم طبيعة البادية التي تقتضي خروج المرأة¹ في النشاط الزراعي والفلاحي من خلال المساهمة في تنمية النشاط الاجتماعي الاقتصادي والحفاظة على التوازن والاستقرار في العائلة ، من خلال تلبية حاجيات الأسرة ، وتوفير كل المتطلبات التي يحتاجها الأبناء بقضاء حاجياتها والعيش دون الحاجة إلى أي شيء .

ب- النشاط الصناعي:

لعل من أبرز الحرف التي اشتهرت بها النساء في أراضي الدولة الزبانية صناعة الزرابي والخياطة والطرز بخيط الذهب وما يؤكد على ذلك وجود ورشات خاصة بالنسيج .

أن ورشة الحرفيين في مدينة تلمسان كانت تشغل مجموعة من الأطفال يتعلمون فيها الحرفة ، ويبدو ان ذلك لم يكن يخص صناعة المنسوجات فقط بل امتد إلى حرف أخرى ، وان الذين لهم الحق في هذا الحكم هم كبار الحرفيين الذين بلغوا دراجة عالية في اكتساب المهارة لذا يلقبون بالمعلم ، والمعلم هو اعلى درجة بالنسبة للحرفيين ، وهنا يتضح لنا أن مدينة تلمسان كانت ورشات للحرفيين يقومون بحياكة ما يحتاج إليه السكان بعد تقديم المادة الأولية الصوف ، مقابل أجره الحياكة ، إلى جانب ان هناك بعض التجار يشترون الخيوط الصوفية المغزولة ثم يقدمونها لهؤلاء الحرفيين لحياكة البرانيس وغيرها من الملابس ، ثم بعد ذلك يقومون ببيعها في دكاكينهم ويسافرون

¹ نعيمة بوركر ديمي ، صورة المرأة في العهد الزباني ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، مجلة الموافق للبحوث

بها ضمن القوافل التجارية وفي بعض الحالات يقع سوء التفاهم بين الحرفيين وصاحب الشغل ، حيث يدعي الحرفي بأن البرانيس قد ضاعت منه ويرفض التعويض لصاحبها.

وتتعدد الصناعة منها صناعة الجلود ، الفخار ، النسيج ، الخبز ومواد البناء ، الصناعات الأخرى التي تشارك فيها المرأة الزيانية .¹

وأخيرا حضور المرأة في ما يتعلق بالعادات والتقاليد ونشر الثقافة :

وفي هذا المنطلق عاشت المرأة التلمسانية في الوسط الشعبي على حسب الظروف المادية للعائلة سواء في الحاضرة أو البادية وعادة ما كان ينحصر في رعاية شؤون زوجها ، إضافة إلى الأشغال المنزلية التي هي من اختصاص المرأة من تربية و رعايتهم والقيام بأعباء البيت من تنظيف وغسل وطهي ، فكانت المرأة تنظف الملابس بالصابون والماء كما ان بعض النسوة كن يبعثن بالخبز وهو عجين إلى الفرن لطهيته نظيف بأجر معين لمساعدة أزواجهن في معيشة اهل البيت .²

تعددت أعمال المرأة إلى اختصاص الرجل ، حيث أن النساء كن يقمن بحمل الماء من السحايات على ظهورهن بالقرب من الأماكن البعيدة فكن يخرجن من الصباح الباكر ولا يعدن حت بعد الزوال ، وذلك لكثرة الزحام على موضع نبع الماء والتناوب عليه³ ، ويعني أن هذه العادات والسلوكات التضامنية تمثل دور المرأة في الحياة الاجتماعية.

¹ مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، مرجع سابق، ص 90-95.

² كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال توازل دفتاوى الونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، اسكندرية ، مصر، د س ن ، ص 20 .

³ ابن سعد الأنصاري ، روضة النسرين في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين ، نح ، يحي بو عزيز ، منشورات ANFP ، الأبيار ، الجزائر ، ط 1 ،

أما في ما يخص الاجراءات العلمية التي كانت تجهزها المرأة الزبانية للعلماء ، فلم نلاحظ ذلك من خلال المصادر المعتمدة ، إلا اننا ارتأينا أن نذكر أحد العلماء الزبانيين والمعروف بابن مرزوق الخطيب ، قد اخذ إجازة من إحدى عاملات مكة المكرمة المدعوة " بفاطمة بنت محمد " بن إبراهيم الطبري المكية ، فوصل الأمر بالمرأة الزبانية إلى أن تكون معلمة سواء للرجال أو للنساء و اتضح ذلك من خلال ظهور وبروز المرأة في مجال التصوير ، إلى جانب حضورها في الشعر وغيرها من العلوم الأخرى .¹ ، إلى جانب مشاركتها في الأمور الدينية .

وفي الأخير نصل إلى أن دور المرأة في المجتمع والحياة الاجتماعية يتشكل من عدة فئات وتمتد جذوره إلى عدة عروق منها العروق السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، إلى جانب تلبية حاجياتها وتغطية حاجيات أسرتها فالمرأة الزبانية تعتبر العامل الأساسي التي تقوم عليه الدولة الزبانية ومصدر من مصادر القوة والضعف والقيام والنهوض ، وهذا يجعلنا نصل إلى ان دور المرأة في الحياة الاجتماعية يقتصر على المكان الذي تنتمي وتندرج إليه هذه المرأة ، لأن نظام الأسرة في المجتمع الزباني يتميز بنوع من الديمقراطية على الرغم من مظهره الديكتاتوري ، لكنه لا يقلل من دور المرأة في الحياة العامة فالدولة الزبانية بالرغم من القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد والعادات على المرأة .

¹ نعيمة بوكرديمي ،،مرجع سابق، ص ص 74 ، 75.

المبحث الثاني: مظاهر الاحتفالات - الزواج ، الطلاق .

تعددت مظاهر الاحتفال في الدولة الزبانية في مظاهر التراث الشعبي التي يتميز بها الزبانيون ، وسنحاول من خلال هذا المبحث التعرف على أهم الاحتفالات:

- الاحتفال بالناير:

تتخذ بعض النساء زينة الوشم بأن تؤخر بعض الأطراف من جسمها بإبرة حتى يسيل الدم؛ ثم تحشى بالنيلج أو الكحل حي يحضر الوشم أو يسود .

ومعناه رأس العام يقع في يومي الثاني عشر والثالث عشر من شهر جانفي ويسمى اليوم الأول يوم نفقة الكرموس أي التين والثاني يوم نفقة اللحم، ففي اليوم الأول تعجن الأمهات لأولادهن قرصا من الخبز، وتثبت فوق كل قرصة بيضة تشكلها بالعجين حتى لا تسقط، وبعد ذلك تعجن وتقلي الفطائر المعروفة عندنا بالسفنج، أما الآباء فيشترون في ذلك اليوم من السوق الثمار اليابسة من كرموس، وتمر وزبيب وجوز ولوز وغير ذلك من الرمان والتفاح، و في المساء تجمع الأسرة حول المائدة ويكون عشاء بالفطائر المغمسة في العسل وبالثمار اليابسة التي تحجعل في طبق كبير فوق المائدة ويختار الآكلون ما شاؤوا منه أما الأطفال الصغار فيجعل لكل واحد منهم سلة صغيرة توضع فيها قرصة ونصيب من الثمار اليابسة التي يدعوتها قشقشة¹.

ويحتفل أهل تلمسان بدخول الربيع، لكن ليس له يوم معين كما هي العادة في قسنطينة مثلا لأن الجو كثيرا ما يكون باردا ف الأيام منه وإنما يحتفلون به بعد أن يصحوا الجو ويعتدل، ويكون الاحتفال به الخروج إلى البساتين وإلى جبل لالة ستي وقضاء يوم كامل في الحواء الطلق واللهو والمرح، وقطف الأزهار المختلفة الألوان والروائح مع تناول ما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة التي يقدمها لهم أصحاب البساتين أو يعدونها ويحضرونها بتلك المناسبة

¹ سلاوي خديجة: الحياة الاجتماعية في الدولة الزبانية 633_1235/912_1555مذكرة ليل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب الوسيط والأوسط كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ جامعة ابن خلدون، تيارت 2013/2014ص 77.

- احتفال الناس بميلاد الأطفال وختانهم:

ظهرت في المغرب الإسلامي عادة احتفال الناس بمولدهم حيث يعدون العقيقة لذلك، وتتكون من خروف أو أكثر حسب الأسرة، ونوع من الحلوى سمي بالعصيدة؛ ويطعم من ذلك الفقراء والأقارب واسرة المولود، ويكون هذا الاحتفال عند قص أول خصلة من شعر الطفل وتكون غالباً في اليوم السابع من ولادته¹، ويحتفلون كذلك بالختان الذي أصبح مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في المغرب الإسلامي، مثل بقية العالم الإسلامي، وعادة ما يختن الطفل في سن الخامسة على يد الحجام² وتحضر بهذه المناسبة احتفالات حيث يدعون إليها الناس يتبرعون للطفل بنقود كي يصبرود على ما يقاسي من ألم ثم يتناولون الغذاء المعد لهم بتلك المناسبة ثم ينصرفون ثم تقام حفلة أخرى للنساء وقيمون لذلك مأدبة طعام¹.

- الاحتفال بختم القرآن:

ومن العادات الاجتماعية أيضاً كانوا يقيمون الاحتفالات بمناسبة ختم أولادهم القرآن الكريم، ومثالنا على ذلك السلطان أبو حمو موسى الثاني، الذي أقام احتفالاً كبيراً سنة 770 هـ بمناسبة ختم ولده الناصر لسورة البقرة، واحتفالاً ثانياً بمناسبة الختمه نفسها من قبل ولده أبي زيان سنة 76 7/هـ، وقد دعا إليها على قول يحيى بن خلدون: «الأمم عربها والعجم، والأشراف والرفيع والوضيع، وحشد فيها اصناف المغنيين فاجتمع الناس بداره وابتهجوا بالغناء على أنواعه، ويقدم لهم ألوان الطعام العديدة، فكان هذان الاحتفالان من الأيام المشهودة»².

¹ سلاوي خديجة، المرجع السابق ص 78.

² المرجع نفسه، ص 71.

- عيد الأضحى أو عيد النحر:

ويسمى كذلك عيد الكبير ويكون ف اليوم العاشر من شهر ذي الحجة الذي هو شهر الحج إلى بيت الله الحرام واليوم الذي قبله أي تاسع من الشهر هو يوم عرفة، وقد يضرب فيه كثير من الناس عن العمل ويصومونه، ومن الأمثال العامية: "ما يأكل عرفة غير الكرفة" أ وتخرج فيه بنات المساكين لسؤال الصدقة على أبواب الدور وهن ينشدن هذه الأبيات:

عرفة عرفة مباركة ميمون حمد حمسو

قيم خيتك وإلا امم سرأتك

تعطيني شيء و إلا نمشي

يعطيك وليد نهار العيد بالكمية وكتاب جديد

سرحونا أموالين الدار يسرحكم بالجنة ومزبود حنا

ليشرن إعجاب من يود حطبتهن فيما بعد، وقد تكرر تلك الزينة يوم السابع الذي هو يوم النفقة الثانية، ويوم الثامن يسمى التشويشة أما في ليلة الثاني عشر التي هي ليلة المولد النبوي وتسمى ليلة الزيادة فإن الاحتفال بما يقع في الدور بإشعال الشموع المثبتة في ثريات من اللوح مزوقة بالفنيد والنساء يزغردن عليها ساعة من الزمن ثم يتناول أطعمة لذيذة وفي الصباح الباكر تحضر النساء طعاما خاصا يدعى تقنتة أء وهو الطعام المعد للنساء حين الولادة، ويقع الاحتفال كذلك تلك الليلة في الزوايا ينشد فيها المنشدون قصائد مختلفة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تخلل تلك الأناشيد تلاوة القرآن الكريم أو دروس في الوعظ والإرشاد أو في السيرة النبوية¹.

¹ سلاوي خديجة، المرجع السابق ص 69.

وهكذا يتضح أن ظاهرة الاحتفال النبوي الشريف بمدينة تلمسان وف غيرها من مدن وحواضر بلاد المغرب، لقيت منذ نشأتها رواجاً كبيراً لدى المسلمين في المغرب الأوسط على المستويين الرسمي والشعبي لحاجة الناس إلى مثل الاحتفال.

ولا زالت هذه الاحتفالات مستمرة إل يومنا هذا.

- عيد الفطر أو العيد الأصغر:

عيد الفطر ف أول أيام شوال بعد انقضاء شهر رمضان مسبقاً بست نفقات: انان في رجب الأول في ليلة الخامس عشر والثانية في ليلة السابع والعشرون منه، وتعرف هذه الأخيرة بليلة "الإسراء والمعراج" وق كل من شعبان ورمضان و نفس التاريخ المذكور تتكرر النفقات إذ المقصود منه التوسعة على العيال والتصدق على الأرملة والأيتام والفقراء والمساكين وفي النفقة الأخيرة التي تسمى "ليلة القدر" يتلى القرآن الكريم كله في تلك الليلة بالمساحد الجامعة بعد ختمه في ليلة قبلها وبعد الفراغ من صلاة التراويح أو صلاة "التشفيع" من كل ليلة من شهر رمضان المعظم يبقى المصلون مجتمعون ف المساجد وذلك لقراءة الأدعية¹، وعندما تثبت رؤية الهلال بشهادة الشهود أمام قاضي¹.

العادة كذلك بختان الأطفال الصغار ف ذلك اليوم إذا كان الحو حاراً أو معتدلاً لا بارداء وهناك عادة خاصة بالأسر الشريفية أي الناس الذين هم من ذرية الإمام علي حرصي الله عنه- ومن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وهي أن الرجال لا يخلقون رؤوسهم فيه أو النساء لا يكتضين بالحناء في شهر محرم ولا يوقعون به وليمة حزناً على الإمام الحسين بن علي الذي قتل سنة 61 هـ (680م). وهناك بعض الناس من الجهل يدعون

¹ سلاوي خديجة، المرجع السابق ص 68.

أن ماء زمزم يجري ف ذلك اليوم في جميع العيون والآباء قبل طلوع الشمس بحيث أنه يوجد منهم من يغتسل ف عاشوراء بعد الفجر قبل طلوع الشمس تبركا بهأ.

- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

إن أول من سن هذا الاحتفال الديني بالمولد النبوي الشريف بالمغرب الإسلامي هو قاضي نسبة أبو عباس أحمد بن القاضي محمد بن احمد الحمي المعروف بالعزقي” الذي بدأ دعوته بهذا الاحتفال، فد استعرض المواسم التي دأب عليها المسلمون ببلاد الأندلس ونسبته، والاحتفال بما فكانوا يتابعون فيها المسيحيين، فدفعه هذا التفكير فيها يشغل بال المسلمين عن هذه البدع، والقضاء على هذه المناكر ولو بأمر مباح، فوقع في نفسه أن يذكر أهل زمانه على الاعتناء بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى أن يلحق ذلك للنشء الصغير فأخذ يطوف على الكتاتيب القرآنية، ويشرح لصغارها مغزى هذا الاحتفال، وقد ألف كتابا لهذا الغرض عنوانه: "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"¹.

ويعد هذا الاحتفال أهم احتفال رسمي وشعبي، حيث بدأ هذا التقليد في تلمسان منذ عهد السلطان أبو حمو الثاني، وكان هذا الاحتفال يتم داخل القصر السلطاني المسمى مشورة فيجمع.

- عيد عاشوراء:

عاشوراء هو اليوم العاشر من محرم، وهو اليوم الذي قتل فيه أبو الشهداء الحسين بن علي، -رضي الله عنه- في موقعة كربلاء، وقد حزن الشيعة لمقتله حزنا شديدا وظلوا يقيمون المآتم في هذا اليوم من كل عام؛ ويعتبرونه يوم حزن عام يطوفون فيه بالأسواق يندبون ويكفون وينشدون؛ و لازال الأمر على هذا في إيران والعراق حيث يسوء

¹ سلاوي خديجة، المرجع السابق ص 65.

المذهب الشيعي¹، ولما قامت الدولة الفاطمية اتخذ الاحتفال بهذا اليوم شكلا رسميا وأصبحت الدولة تحتفل به وتعتبره عيداً من أعيادها الرسمية.

وقد استمرت هذه الاحتفالات إلى أيامنا هذه واقترن أكل الدجاج بهذه المناسبة، وهذا اليوم أصبح يوم صوم وإحسان فكانوا يصومون يوم تاسوعاء ويوم عاشوراء ويوم عاشوراء ويوم عاشوراء فيها الصدقات على من استحقها من الفقراء والمساكين، وقد جرت العادة في هذا اليوم بأن كل واحد يشتري لأهله نصيباً من الحناء؛ وقد يضيف إلى ذلك بعض الثياب خصوصاً للإناث من أم وزوجة وبنات كما جرت¹.

و احتفال الزواج وبيان ماهيته وأساسه وأنواعه ، وكيف يتحدد الزواج في كل طبقة .

1) الزواج :

لقد حث الإسلام على الزواج ، وتكوين الأسرة وإنجاب الأطفال ، و تربيتهم تربية إسلامية صالحة ، لأن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع كله ، وإن فسدت اشتكى منها أعضاؤه وعناصره ، إن الزواج هو سنة الحياة ، والرباط الذي يربط المرأة بالرجل وفق شروط محددة ، لذلك يعتبر الزواج في الإسلام نصف الدين لقوله تعالى: " ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " سورة الروم الآية 21 ، وقوله أيضا : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء " سورة النساء الآية 1.

بينت هذه الآيات أن الزواج يؤدي إلى المودة والرحمة ويعتد الطمأنينة بين الزوجين ، من خلال حب الزوج لزوجته والعطف عليها ، وذكر القرطبي أن : الزواج طريق التعفف ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " يا معشر

¹ سلاوي خديجة ، المرجع السابق ص 64.

الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء¹، وكتب النوازل العديد من الحقائق والإشارات المتعلقة بأمور الزواج والحياة الاسرية المتمثل في :

أ- الخطبة :

هي مقدمة تمهيدية للزواج أساسها التعرف ، وقد أجزى للفتى ان يلاحظ الفتاة ويتساءل عنها ويراهها جلسة او علنا قبل الإقدام على الخطبة فإذا رجع لديه جانب الإيجاب واطمان إلى اخلاقها وشخصيتها ، يتقدم لخطبتها وتجري العادة أن يقدم لها شيئاً يرمز إلى الارتباط ، وتنتهي مدة الخطبة بعقد الزواج الذي غالباً ما كان يتم عن طريق قاضي الأنكحة ، والأثر الذي يترتب على الخطبة أنه يحرم على غير الخاطب أن يتقدم لخطبة هذه الفتاة².

ب- العقد :

عندما تتم الموافقة يحدد وقت الفاتحة ، وكتابة عقد الزواج وحضور الشهود ، وتكون في المسجد او في بيت الفتى إذا كانت العائلة من البيئة الميسورة وذات حال ، وبحضور أفراد من العائلتين بواسطة كاتب عدل ، يقوم بتسجيل العقد وتحديد المهر، ام الحاضرين والمدعويين ، ولا يتم تسجيل عقد القران إلا بموافقة قاضي الأنكحة ، وبعد موافقة الطرفين³ ، وهذا العقد لا يتم في المدينة إلا بموافقة القاضي بعد موافقة والد الفتاة على ذلك ، تم يدعو الخاطب أصدقاءه للاجتماع في المسجد، يصطحب معه كاتب عدل يقوم بتسجيل العقد وتحرير شروط المهر ، أما العائلات الغنية فكانت تستدعي القاضي للمنزل لكتابة العقد بعد موافقة الطرفين بحضور أعضاء العائلتين⁴ ، أما في الريف فتتمك الخطبة بحضور كبار القرية الذين يتدخلون حتى في تحديد شروط المهر .

¹ مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، مرجع سابق ج2 ، ص 199.

² المرجع نفسه، ص 290.

³ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، دراسة سياسية اجتماعية ، ثقافية ، ص 288.

⁴ المرجع نفسه ، ص 200.

كما تطرقت النوازل أيضا إلى بعض الشروط التي وضعتها النساء خلال العقد منها : من زوج بنته وشرط عليه أن يجلبها من المهديّة إلى قفصه ، فأجاب النطاح جائز والشرط على الأب الإتيان بها ، وفي نازلة أخرى من تزوج ماشطة وشرطت عقد انتكاح ألا يمنعها من صنعتها ، فأجاب لا يلزمه الوفاء بالشرط قبل إن كانت صنعتها لا تحوز فواضح ، وإن كانت حائرة فتجري على مسألة إذا اشترطت ألا يخرجها من بلدها ، وظاهر المدونة عدم اللزوم ، واستحب غير واحد الوفاء للحديث¹ ، ومن أشهر من تولى كتابة العقد في الدولة الزيانية هو الفقيه التلمساني ابن مرزوق² ، وصيغة عقد النكاح بعد البسملة بأن تحديد الصداق ثم الاسم الكامل للعريس وتبيين حالة العروس إن كانت بكر.³

ويرى الونشريسي أن عدم حضور القضاء بالنسبة للقري لتسجيل عقد الزواج في البوادي راجع إلى الجهل في هذه البوادي ، و في هذا الصدد يقول : " من عادة اهل البادية دم الكتب حين العقد وعدم حضور من يعرف ركان النكاح ، وعلى أن واجبات المرأة تختلف في البادية تكد وتجد في العمل حتى يكاد أن يكون الزواج في بعض الأحيان نوع من الإجارة والعبودية لا يمكنها التخلص منه بينما تكون حياة الحضرية أكثر رفاهية ومما يؤكد ذلك قول الماروني " كان شيخنا السبتي عبد الله رحمه الله توفي 1389 / 722 ، يحكى عن شيخ من شيوخنا أنه امرأة من صنف الحضرة ، وكان قاضي أنكحه ، تشكوا وجع يديها من العجن ، قام زوجها بشراء خادمة تخدمها

¹ الونشريسي ، أبي العباس أحمد بن يحيى ، المعيار العرب والجامع العرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، تج محمد جايي وآخرون ، ج 3 ، 4 ، 5 ، 11 ، وزارة الأوقاف للمملكة المغربية ، 1981 ، ص ص 275 – 278 .

² نبيلة عبد الشكور إسهم ، المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية القرن 19 هـ و 1562 م ، ج 1 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2007 / 2008 ، ص 205 .

³ بنت حاج جلول ، المرأة في المجتمع الزياني 633-1235/962-1554 ، مذكرة ماجستير ، جامعة وهران ، 2014/2015 ، ص 92 .

وجاءته بدونية تشكوه خادمته من الطحن وحمل الماء والحطب ، وغير ذلك من خدمة البادية ومشتقاتها فأمرها أن تقع معه وتعاشره على ذلك وقال أن نساء البوادي دخلت على ذلك ¹.

ج- الصداق :

هو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل للمرأة وقد قال الله تعالى : " وأتوا النساء صداقتهن نحلته " سورة النساء (4) ، وتتوصل من خلال هذه الآية أن الطرق منحة وعطاء للمرأة لرغبة في الاقتران بها والمال حق خالص للفتاة والفروض أن يقدم المهر كله عنه العقد ، ولكن قد يجري العرف ان يقدم الزباني فقد ذكر المازوني عن رجل زوج ابنته البكر بصداق وخادم على أن المعجل من ذلك الشطر الدنانير ² ، وكثيرا ما كان يحدث مشاكل بين الزوجين ، وبين الزوج ووالد البين حول قيمة الصداق والتعويض ونية العقد ، فيحدث (ادعاء) بأن الصداق إما هو أقل أو التعويض لا يكون بتقدير من الزوج ³.

ومن خلال هذا المنطلق يتضح لنا أن المهر هو ما يقدمه الرجل للعروس وأهلها أثناء الزواج ، ليس له حد معين وغنما يخضع للحالة الاجتماعية والمالية للزوج والخروجة ، ويتضمن العقد شروطا محددة مثل مقدار الصداق المقدم والمؤخر أي الصداق العاجل والآجل وأنواع الألبسة ، والفرش والخلي الذهبية والفضية ، وغيرها ، وكانت بعض الأسر تشترط خادمة أو وصيفة للعروس ، كما تشترط الهدية على جري العادة ، بطعم الولي من صداق ابنته ويجدس منه لنفسه ⁴ .

¹ مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، مرجع السابق، ج 2 ، ص ص 200 ، 201 .

² المرجع نفسه ، ص 201.

³ المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تج ، مختار حساني ، مراجعة مالك كرشوش الزواوي ، ج 2، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009 ، ص ص 144 ، 380.

⁴ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، دراسة سياسية اجتماعية ، ثقافية، المرجع السابق، ص 288.

وجاء في نازلة أن رجلا تزوج بامرأة وأعطاهما النقد 25 دينانير ذهبية وفي أخرى من تزوج بامرأة ومنح صداقتها ثلاثمائة دينار قيمة كل دينار ثمانية دراهم،¹ وقد اقترن الصداق في تلمسان بالناحية الطبقية، فقد طلبت ابنته أحد القضاة من رجل من مرابطي وطنه، وعمل لها الزوج ليلة العقد ما يليق به حلي وثياب وغير ذلك، وعمل أيضا الأب لابنته في شورتها ما يليق أيضا بمنصته وهمته ويساره.²

و قد منح أبو عبد الله محمد بن مرزوق زوجته ابنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني صداقا محترما من الحلبي والفرش وغيرها، وولدت له ولدان و تركت أموالا طائلة، و أهدى ابن مرزوق بناته حلا قيمتها ألف دينار من الذهب فضلا على الفراش و الثياب قبل زواجهن و هو ما يعرف بالشورة.³

و قد شكلت المواشي جزءا من المهر خاصة في البادية حيث ذكر في نازلة "أن رجلا زوج ابنته واشترط على زوجها هدية كبشا و ثورا، فذبح الكبش و ابقى على الثور".⁴

و معنى هذا أن عادات البوادي فإنهم لا يسمون صداقاتهم ولا يشهدون عليها وقت العقد، لكن عند الإمتناء و الصداق عندهم نقروف مقدم لا يزداد لجمال و نحوه و لا ينقص لقبح و غيره، و من كان له يسر و ربما دفع العجل عند التعرييس، أما المؤجل فلا المؤجل فلا يطلب له إلا بعد موت أو فراق⁵ أما عن موعد الزفاف فلا يتم إلا عند تجهيز العروس و نستدل من إحدى النوازل على أن هناك من وهب ابنته خمسين رأسا من الغنم و نصف

¹الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع العرب عن فتاوى أهل إفريقية والاندلس والمغرب، المصدر السابق، ص ص

.147،184

²مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج 2، ص 201.

³عبد العزيز الجيلالي: تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، اجتماعية، ثقافية، المرجع السابق، ص 202 .

⁴الونشريسي: المرجع نفسه، ص 46 .

⁵كمال ابو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في الغرب الاسلامي من خلال توازن و فتاوي الونشريسي، د س

ن، ص 13 .

كرمه من اجل جهازها، كما يمكن أن تتجهز من صداقها و تشتري كسوة تلبسها عند زوجها، اذا رغب الزوج الا يكسوها الا من الصداق¹ .

(د) احتفالات يوم الزفاف :

يقام الاحتفال بيوم الزفاف بتلمسان على العهد الزباني، على شكل عرس او وليمة، في كل من بيتي العريس و العروس تذبج فيه الذبائح²، و تقدم افخر الاطعمه للمدعوين وفي النهار يجري سباق الخيل في ملعب المدينة على انغام المزامير والدفوف وزغاريد النساء.³

وفي المدينة ينقسم الزفاف الى حفلين الاول بالنهار للرجال والآخر للنساء ليلا و اثناء الليل نحضر الفرق الموسيقية لنقضي السهره بهيجه على الانغام و الاغاني الزناتية للجواري، المتعلقة في ذلك الوقت، و هو الامر الذي انكره العالم الفقيه ابو العباس احمد الونشريس يقوله : " و منها متخذ للاهي و انواع و يستأخرون عليها عند السرور مثل الزفافين و المعنيين⁴ .

و في هذه المناسبة تتحمل العروس بالكحل و هو عبارة عن حجر اسود، و تخص العروس يديها و رجليها بالحناء المنقوشة و تقاليد القلادة الذهبية من الؤلؤ و الزمرد، و تتخذ بعض النساء زينة الوشم بان تستعمل الوخر لبعض اطراف من جسمها بابة حتى يسيل الدم، ثم تخشى بالنشيج او الكحل حتى يخضر الوشم او يسود، و تزين العروس غرفتها بالفرش من حصير و بساط ووسائد و اسرة و ستور و ارائك، و كانت بعض الفتيات يحافظن على

¹ الونشريس : المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الاندلس و المغرب، المصدر السابق، ص 246.

² عبد العزيز فيالي : تلمسان في العهد الزباني، دراسة سياسة اجتماعية، ثقافية، المرجع السابق ص 291 .

³ المرجع نفسه، ص 291 .

⁴ المرجع نفسه، ص 291 .

زيتهن و جملهن، لدرجة انهن لا يصمن في شهر رمضان من غير عذر شرعي، حتى لا ينقص وزهن ولا يتغير جملهن، ولا سيما اللاتي كذا في سن الزواج¹.

اي لا يمكن لنا الحديث عن مظاهر الزفاف، دون التطرق الى لباس المرأة الزبانية، الذي يعتبر اهم مظهر من مظاهر الزفاف، فتتوعد الالبسة بين النساء الزبانية و ذلك لتنوع الفئات الاجتماعية خاصة نوع القماش، فكان لباس الحرير غالب على نساء ذوي الجاه و المال، فقد كان حرير الخام غالي الثمن لذلك نجد نساء الفقة الفقير كانت تعتمد على القماش الاقل سعرا² و عليه ظل الاختلاف بين الناس في المعدن و الحلبي بكثرتة او قلته، يتحكم في الانتماء الفتوي لكل منهن .

هـ) الجهاز :

ياتي بعد مرحلة العقد و يختلف حسب كل فقة و مستواها المعيشي، و هو الذي كانت تحمله العروس معها الى منزل الزوجية من حلبي و متاع، ملابس، فرش السرير، الادوات المنزلية و قد قدر ثمن هذا الجهاز بمبالغ غالية في الارتفاع، فقد كان احيانا يصل الى الاف الدنانير الذهبية او اكثر³ اما العروس تشتري الثوب وتختاره وما يهواها

¹ عبد العزيز فيلاي : تلمسان في العهد الزباني، دراسة سياسية، اجتماعية، ثقافية، المرجع السابق، ص292.

² سمية مزود : المجاعات و الاوبئة في المغرب الاوسط 885-1927، 1520/1192، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008
2009/، ص 47 .

³ نبيله عبد الشكور اسهام المرآة المغربية في حضارة المغرب الاسلامي منذ من القرن السادس الى نهاية القرن التاسع للهجري الثاني عشر، الخامس عشر الملايين، ج1، اطروحة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2007، 2008، ص 207، 208 .

الى هذا تشتري الفراش والحلي والزخارف اللازمه للعروس وللعرس بالاضافه الى بعض وفي بعض الاحيان يبحث العريس المال للزوجه وشراء ما يلزمها قبل الزفاف .¹

ومن هذا المنطق نصل الى ان الزواج في المجتمع الزياني بتلمسان شهد عده اشكال من الزواج التي كانت سائده في سواء او في المدينه والباديه حيث ساعه زواج الاقارب حتى يمنع تشتت افرادها فزواج البنت من قرائبها يمنحها المعامله الحسنه والعيش ببناء وبالتالي التقاليد من المشاكل التي قد تتسبب في طلاقها .²

وفيما يخص سن الزواج فقد كان سن الرجل في الغالب يتراوح بين 15 و 20 سنه وقل ما يتاخر عن 30 سنه ولما كان يستحق هذا السن اما عن سن المراه فقد كان في سن صغير اي في الصبا فمن عاده الاسره التلمسانيه في العهد الزياني انها كانت تقدم على خطبه احدى البنات لاحد ابنائها .

و سن الزواج في المجتمع الزياني كان يتم مبكرا بين الثالثه عشر و السادسة عشر و الفتاة الصغيرة تزف بعد موافقة القاضي على ذلك كما كانت تستشار و لا يتم العقد الا بموافقتها خاصة في المدن الا بعض الحالات كانت ترغم على ذلك، فكانت الفتاة البدوية تتزوج مبكرا على الفتاة المدنية و ذلك بسبب عيش البدو الذي ينميهم بسرعة و ينضج استعدادهن في وقت قصير، و ايضا يعجل بشيخوخة المرأة و هرمها .³

¹ علي شعرة، الحياة الاجتماعية من خلال كتب الدرر المكنونة في نوازل مازونة 123 زكريا، يحي مومن بن عيسى المازوني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006، 2007، ص 67 .

² الونشريس، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الاندلس و المغرب، المصدر السابق ، ج4، ص 162 .

³ المرجع نفسه، ص 125 .

و يظهر المستوى الاجتماعي في الزواج بالعبيد ايضا فالكثير من الناس يرفضون تزويج لبناتهم للعبيد باعتبارهم ارقاء لا يملكون حريتهم، ذلك ما كان يفسخ عقد الزواج حيث ان رجل تزوج امرأة و قبل البناء لها ادعت انه عبد و لم تثبت حريته¹.

و لكن هذا لا يعني ان العبيد لا يتزوجون بل كان العبد يتزوج و ذلك باختيار الجارية التي تناسبه كما يحق له ان يطلقها و هناك زواج بين عائلة².

(2) انواع الزواج :

يعرف عامة الناس في المجتمع التلمساني في العهد الزباني عدة انماط من انواع الزواج و المتمثلة في :

(أ) زواج البدل : و تقوم هذه الطريقة على ان يتبادل جماعتان امرأتان او أكثر، بفرض ان تتزوج كل واحدة منهن رجلا من الجماعة الاخرى، و القاعدة العامة في هذا الزواج، فكان على الجماعة التي تقدم المرأة عاقرا ان تعوض زوجها بامرأة ولود .

(ب) زواج المهر :

يعتبر هذا النوع اكثر طرق الزواج انتشارا، و يستلزم ان يقوم طالب الزواج او من ينوب عنه دفع المهر (مقدا أو مؤجلا)، و في بعض الاحيان يكون المهر غلة المحصول الزراعي و يقدم احيانا عقارا، فقد قدم بعضهم لزوجاتهم اراضي كمهر .

(ج) زواج الخطف :

¹ المازوني : الدورة المكتوبة في نوازل مازونة، المرجع السابق، ص 431 .

² المقرئ احمد بن محمد النقرئ التلمساني : نفع الطيب من عصر الاندلس الرطيب، ص5، احسان عباس، دار 123 بيروت، لبنان، 1988، ص419 .

كان بعض الرجال يقومون بخطف النساء و الحرب بهن، ثم يتزوجهن، فقد وجه رجل ابناء قبيلته الى قبيلة اخرى بغرض خطف فتاة و احضارها اليه بغرض الزواج.¹

(د) زواج الاسر :

و يتم هذا الزواج بتزوج الرجل من أسيرته او أكثر من اسر في معركة من المعارك .

(هـ) زواج الميراث :

و يتركز هذا الزواج على اساس، ان المرأة التي يموت زوجها تصير زوجة لاقرب الناس خصوصا الأخ، و اذا خلى سبيلها و تركها لتتزوج بمن تشاء و يشترط عليها ان تتنازل على كل ما ورثته عن زوجها المتوفي² ومن هذا المنطق تحرم الزوجة من الميراث، و هي مسألة جلد و توطأ اهلها على منع النساء من الميراث، و جهلت المواريث على الحق الشرعي للمرأة، و كانت هذه منشورة في العصور السالفة.³

و العرف السائد في مجتمعات المغرب الاسلامي هو حرمان الانثى و تمتع الذكور بكل الاملاك، و انتشر في البوادي افراد الاخوة بالملك و عدم توريث المرأة، و كانت النسوة لا يطلبن ميراثهن من اقاربهن و لا يطلبن الغلة خوفا من قطع رحمهن⁴ .

¹ عبد المالك بكاي : العلاقة الزبانية المدنية سياسيا و ثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، قسم العلوم الانسانية، جامعة ابي بكر بلقايد،

تلمسان، الجزائر، 2008، 2007، ص 71، 72 .

² المرجع نفسه، ص 72.

³ الونشريسي : المعيار المغرب و الجامع المعربن فتاوي اهل افريقي و الاندلس و المغرب، المرجع السابق، ج 11، ص 293، 249 .

⁴ نبيلة عبد الشكور ، المرجع السابق، ص 224، 225 .

اما المرأة الحضرية بتلمسان الزبانية فهي عكس البدوية فقد كان لها الحق في الميراث، و ذلك ما جاء في نازلة عمّن خالغ زوجته على ان تحملت له هي و امها مؤنة ابنته منها ثم ماتت الجدة بعد مضي عام و طلب ورثتها قسم تركتها و طلب المخاليع ما يجب لابنته به¹ و هذا ما يدل على ان المرأة الحضرية بتلمسان في العهد الزباني كانت تتميز و تختلف كثيرا عن البدوية التي كانت محرومة من حقوقها .

(د) زواج الاقارب:

شاع في المجتمع زواج الاقارب و حرص الابناء في تحقيق استقرار العائلة و تقليص اضطرابها بالطلاق، و يتجلى ذلك من خلال الزواج من القريب حتى لا يتشتت افرادها و المحافظة على نقاوة الدم من نفس العائلة.² و يمكن ان ندرج العديد من النوازل المتعلقة بهذا الزواج منها الزواج من ابنة العم و الزواج من ابنة الخال و الخالة و ابنة العمّة و غيرها من الجذور التي تنتمي الى شجرة العائلة .

(3) تحديد كيف كان الزواج في كل طبقة :

يتحدد الزواج في عهد الدولة الزبانية بتلمسان حسب الطبقة التي ينتمي اليها وهي كالتالي :

(أ) الزواج في الطبقة الحاكمة :

قامت الطبقة الحاكمة بالعديد من المصاهرات نظراً للعلاقات التي كانت تربط الدولة الزبانية بظرائها من الدول الاخرى، رغبة في تحقيق مصالح ثنائية بين الطرفين و خو ما يعرف بالزواج السياسي و عليه فظاهرة الزواج

¹ الونشريسي : المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقي و الاندلس و المغرب، المصدر السابق ج4، ص09 .

² نبيلة عبد الشكور ، المرجع السابق، ص 187 .

السياسي كانت سبب اساسي في ربط أوصال العلاقات بين الاسر الحاكمة¹ .

ب (الزواج عن طبقة العلماء :

دخلت فته العلماء في علاقات المصاهرة والزواج بأسر عريقة، تماثلها في العلم و الجاه و تزوج ابو عبد الله محمد ابنة الفقيه ابو عبد الله الكناي² . فزواج العلماء كان معروفا و منشورا في المغرب الاسلامي، و ربما يعود اسباب ذلك الى عوامل اجتماعية ومعنوية و مادية للطالب و العالم معنا، فالطالب بمهدف زواجه من ابنة استاذة والتقرب منه حتى يتسنى له الارتقاء في العلم ونيل المراتب العليا في المناصب، في حين يهدف الاستاذ و العالم من زواج ابنته ياخذ تلاميذه عندما يدرك انه يتحلى بصفات اخلاقية له مستقبلا زاهرا وسيرتقي الى الدرجات العليا وكثيرا ماتكون الفتاة راضية بهذا الزواج .³

ج (الزواج في الطبقة العامة :

من الفئات الاجتماعية كانت الاسرة التلمسانية الزيانية تختار لابنها و ابنتها من العائلات المتدينة الصالحة ولو كانت فقيرة فكثيرا ماكانت المرأة تقبل عن طيب خاطر لمن تقدم لخطبتها متمنية الحصول على زوج تظهر له الحب و احيانا كانت تصطدم باكرام أبيها على الارتباط برجل يرى لا تحمل له اي شحنة عاطفية ولا يكون لها الحق في الاختيار زوجها⁴ و عادة ما ينكح العرب المرأة لجمالها ورغم هذا فان من العادات اختيار المرأة الطيبة

¹ عبد الرحمان بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ، المرجع السابق ، ج6، ص 497.

² ابي عبد عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الاوقافو الشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، ط 1، 2008، ص 149 .

³ نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص 193 .

⁴ ابراهيم القادري بودشيش : "الحب في العلاقة الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط"، مجلة العصور جديدة، العدد 5 جامعة وهران 2012 ص 32.

المتدينة من التزويج لبتاتهم لنساق و الظالمين¹، و عرف الزواج عند بني زيان اشكال عديدة كانت سائدة في العامة والتي لنا التطرق اليها كنزواج الاقارب من ابن العم و العممة والخال والخالة وزواج البدل و زواج الخطف، وزواج الميراث و زواج الاسر و غيره .

وقد ينحل الزواج بالفراق ويكون ذلك بافتراق الزوجان بالطلاق و الخلع في حالة الاضرار بالزوجة وعدم النفقة عليها و سنحاول من خلال دراستنا معرفة مفهوم الطلاق و اهم مجرياته و النواجم التي قد تتسبب فيه.

4) الطلاق و الخلع بتلمسان في العهد الزياني :

كثيرا ما يحدث بين العلاقات الزوجية صراعات ونزاعات ينجر عنها انفصال الزوجين عن بعضهما البعض، قد يكون هذا الانفصال عن الزوج بغير بدل، فيكون الطلاق او بطلب من الزوجة فيكون الخلع او انحلال الزواج بالموت.²

• الطلاق لغة :

هو الترك، يقال طلق البلاد اي تركها و هو المفارقة، يقال طلقت البلاد اي فارقتها، و يقال اطلق الناقة من عقالها، و طلقها فطلقت، اي اصبحت بلا قيد.³

¹ علي شعرة: الحياة الاجتماعية من خلال كتب الدرر المكنونة في نوازل مازونة، زكرياء يحي موسى بن عيسى المازوني ص 62.

² محمد غزالي : " الاثر الاجتماعي لقضايا الخلع والطلاق في بلاد المغرب الاسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريس"، مجلة العصور الجديدة، ع 11

__ 12، جامعة وهران، الجزائر، 2013، 2014 ص 139 .

³ ابن منظور المصري، لسان العرب، ج 8، بيروت، لبنان، ط 1، ص 187 .

• الطلاق في الاصطلاح :

هو حل قيد النكاح، او حل عقد التزويج تي فك الزواج، و قد وردت آيات تدل على الطلاق لقوله تعالى: " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " . سورة البقرة الآية 232

وتتعدد اسباب الطلاق و ذلك بتعدد المشاكل الزوجية والمتمثلة في :

أ. منع خروج المرأة:

ان المتأمل لكاتب النوازل يجد الكثير من الحالات التي تمنع خروج الزوجة من بيتها كنازلة، ان امرأة كانت تتردد لزيارة امها المريضة عدة مرات فتق عليها و حلف أن خرجت ليطلقها بالثلاث و هذا ما ذمه¹ الفقهاء كالونشريسي و العقباي فهو يعد الزواج، ذكر صاحب المعيار من حلف على زوجته الا تخرج حتى ينقضي العام²، وفي نازلة اخرى حلف فيها الرجل باللازمة ان خرجت ان يرقدها فدار شهرا³.

وفي نازلة اخرى ذكر من علق طلاق امرأته على خروجها من الدار اثناء سفره فأخرجها صاحب الدار⁴.

و قد اثار جمهور الفقهاء في نقاش مسألة منع المرأة الخروج من المنزل في قضية اوردها ابن تزميرت الموحدى،

يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعلقا بعضها خروج النساء و مخالطتهم للغرباء لما قد يجلبه عليها وعلى زوجها

¹ المازوني : الدورة المعنونة في نوازل مازونة، المرجع السابق، ص38

² الونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقيا و المغرب و الاندلس، المرجع السابق، ص112.

³ المرجع نفسه، ص 113.

⁴ المرجع نفسه، ص 211.

وعلى مجتمعهما من ضرر، وقد ذكر بعض الفقهاء كالعقباني خروج المرأة دون اذن زوجها خشية الفتنة وارتكاب المحارم لله و ذكر ان للمرأة في عمرها ثلاث خرجات خرجة لبيت زوجها و خرجة للموت أبوها و خرجة لقبرها. وقد ذكر صاحب كتاب المدخل ان على المرأة البقاء في بيت فان كانت للاهلها حاجة من شراء ثوب او حلي او غيرها فإنتاجية وتبسطه فرما يكون سببا في وقوع الفاحشة الكبرى¹.

ب. الأثر لبيت الزوجة

من المشاكل الزوجية هي الإضرار بالزوجة، حيث يقع شجار بين الزوجين و هروب الزوجة الى بيت امها فسئل ابو عبد الله بن مرزوق عن رجل جاءت امرأته الى اهلها مضروبة الظهر والذراعين فقيل لها من فعل لك هذا فأشارت الى زوجها فقال ماضربتها انا ولا القاضي ولا حلفت قط بالحرام² وقد كانت هذه المسألة بكثرة في كتب النوازل خاصة عندما يتعلق الامر بالزواج .

ج. العقم :

ويشكل العقم مشكلا بارزا يعترض الزوجين وكان يلقي سببه عادة على المرأة وتعود اسبابها الطبيعية الى المرأة السمينية التي لا تقدر على الانجاب وسوء تكوين الرحم او تعرضه الى امراض تمنع الحمل اما الاسباب البشرية تعود الى السحر عملته النساء لأرحامها او ضرر من قبل الجان او التوابع³.

¹ نبيلة عبد الشكور ، المرجع السابق، ص 146.

² ألونشريس : المعيار و المغرب الجامع العرب عن فتاوي اهل افريقي و الاندلس و المغربية، المصدر السابق، ج4، ص 312 .

³ نبيلة عبد الشكور ، المرجع السابق، ص 223 .

وكان الزواج داخل الأسرة الزبانية غالباً ما ينحل بسبب موت أحد الزوجين نظراً للحروب الدائمة لدوله الزبانية مع جارتها المرينية والحفصية، الأمر الذي خلف عدد كبير من الأرمال، فانتشرت تجارة الجوّاري واكتضت الأسواق بهن، فعز الأزواج وكثرت العوانس التي كان أعمارهن ما بين 35 و 40 سنة دون أن يجدن بعولهن.

وقد أثارت مشكلة الطلاق اختلافاً كبيراً بين والفقراء وجاءت العديد من النوازل عن الحلف بإيمان الطلاق منها ما ذكر: "لأن الرجل أغار عليه قوم ليأخذ و امرأة فلحلف لهم بالطلاق والثلاث خوفاً لم يلزمه أي أن الرجل ما حلف إلا قهراً.

وعليه تتعدد أسباب الطلاق بتملسان على غير الأسباب المذكورة وهي كالتالي:

— ذكر الفقهاء موضوع العيب الذي من أسباب رد الزوجية و تطليقها فإذا وجد الرجل عيباً من حقه أن يطلق، خاصة عندما لا يرضى بالعيب كان قبل الزواج لكنه لم يعلم به بعد الزواج، او طراً العيب بعد ذلك وعندما علم هنا يجوز طلب التفريق و اجمع فقها، المغرب الإسلامي في ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إما رجل تزوج امرأة وبها جنون أو جذام أو برص فمسها فلما صدقها كاملاً، وذلك لزوجها غرماً على وليها". رواه مسلم.

ولكن ذلك لا يتحقق إلا بعد اثبات الزوج صفة ادعائه على مرض زوجته كما أن عصر الدولة الزبانية شهد العديد من الأمراض و عام المجاعات أثرت على سلوكيات المرضى، فيذكر المازوني في نازلة سأل عنها أبو الفضل العقباني عن رجل تزوج امرأة فظهر بها جذام بعد بنائه بحوالي ثمانية أعوام، فهل يحق لها همرها أم لا؟ فأفتى الفقهاء بالزواج التفريق بين الزوجين إذا كان المرض خطيراً¹.

¹ نبيلة عبد الشكور، المرجع نفسه، ص 235

وفي نازلة أخرى سأل العقباني عن امرأة مرضت مرضاً شديداً تعذر على الزوج معاشرتها فصل تسقط عليه تفقتها بعد أن وعدها أن يتزوج عليها.¹

إضافة إلى مسألة عيب البكارة وهي أن يتزوج رجل امرأة على أنها بكر، فإذا هي تيب من زوجين، الخيار هو مفارقتها ولا يدفع من الصداق شيء²، و أشار الوشريس إلى مشاكل أخرى تعلقت بهذا العيب وسأل عن «من تزوج بكراً فدخل بها وادعى أنه وجدها تيباً، وهنا لا يجوز له الطلاق وسقط عنه، حسب النازلة³.

5) الخلع

وهو إزالة العصمة بعوض من الزوجة وهو بدل المرأة العوض على طلاقها فإذا كرهت المرأة زوجها فخافت أن توفيه حقه أو خافت أن يبغضها فلا يوفيه حقه.

قد أعطى الإسلام الحق للمرأة في إزالة الزواج أن تطليق نفسها إذا ما رأت أمورا من زوجها كالإساءة إليها أو ضربها، وقد أوردت كتب النوازل ذلك بعدة نصوص كالنازلة التي سئل عنها أبو عثمان العقباتي "عمن خالغ زوجته على أن تعمل له هي وأمها مؤونة ابنته ما دامت عنها" أي تتكفل زوجته وأمها نفقه ابنتها.

ولا يقتصر الخلع على الرجل فقط، فأن لم يرضى الرجل بالخلع كان للمرأة الحق فيها أن ترفع أمرها إلى القاضي ليحسن عشرتها أو يفرق بينهما.

فكلمة الخلع في معناها أو التجريد و الإزالة، فخلع الرجل ثوبه أي أزاله أما اصطلاحاً هو الافتداء إذا كرهت

المرأة زوجها، فخافت ألا توفيه حقه، أو خافت أن يبغضها فلا يوفيه حقه، إزالة العصمة بعوض من الزوجية

¹ نبيلة عبد الشكور، مرجع نفس، ص 235.

² المرجع نفسه ص 236.

³ المرجع نفسه ص 237.

وتتعدد أسباب الخلع منها¹ :

الإضرار بالمرأة والتي يعتبرها يعتبر من أهم المشاكل التي تؤدي الى الخلع، ومن أجله أتت حكمت الشارع الحكيم بتشريع الخلع و أشارت فأن رجلا كان يضر زوجته في نفسها لأمر لمسلم عليه، فضيقا عليها لتفتدي منه.

¹ نيلة عبد الشكور المرجع السابق، ص 232.

خلاصة الفصل :

توصلنا إلى أن دراسة بناء الأسرة و ديمومتها في العهد الزياني يرتبط إرتباطا كلي بالأجناس المكونة له كسكان العرب و السكان البربر و الحصر و البادية أي يرتبط إرتباط كلي بالمرأة الزيانية التي كان لها دور في نشأة الأسرة و التجارة و الفلاحة و النحت أي في الإقتصاد و التنمية و أيضا عدة كوسيلة لبناء الروابط و زيادة القوة و الحصول على نفوذ معين للختام، و السلاطين أيضا شاركت المرأة بغيرها من الرجال في الحرب من خلال النهد و الرشاد و تخفيض الحمل و أيضا التحسس و ذلك من خلال إرسالها لعدو و جلب معلومات تساعدهم على كسب الحرب إلى جانب أنها قد تعمل على إيقاف الحروب أو رضح الضرر على الأهالي و بهذا تكون المرأة هي الأساس الأول للأسرة و المجتمع و يعتبر الزواج أحد أهم العناصر التي يبنى عليها المجتمع الزياني فهو الرابطة التي تربط المرأة بالرجل و تختلف أسبابه و أغراضه و أنواعه حسب الفئة التي ينتمي إليها و ينقض الزواج بالطلاق أو الخلع و ذلك نتيجة لعدة أسباب كالمشاكل الزوجية أو نتيجة لضرر إضافة إلى مسألة عيب التجارة و غيرها من الأمور الأخرى التي ينتج عنها الطلاق و الخلع.

الفصل الثاني

بناء القبيلة في الدولة

الفصل الثاني : بناء القبيلة في الدولة الزيانية

تتبنى القبائل التلمسانية في الدولة الزيانية إلى أربع طبقات وتمثل في:

(1) الطبقة الحاكمة

تظم هذه الطبقة الفئة العليا من المجتمع من سلاطين وأمراء بني عبد الواد وأساء عمومهم بالإضافة إلى الحجاب والوزاء، وكتاب بالدواوين والولاة والقادة الجيش، حيث أن هذه الفئة كانت تعيش عيشة مترفة وتصدرت المجتمع وتربعت علاقته بحكم موقعها في جهاز هذه الدولة.¹

(2) طبقة أصحاب الفكر وكبار التجار

تتكرر هذه الفئة من أسر الموظفين وأصناف المهندسين وأهل العلم والفكر من الكتاب والشعراء والفقهاء والمدرسين الذين يزاولون التدريس، بالإضافة إلى عائلات الأطباء الذين نالوا الخطوة في هذه الدولة وأيضاً التجار الكبار وأصحاب الحرف، وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة وهذه الفئة كثيرة الإعتزاز بنفسها بإنتماءاتها تطمح إلى العيش المريح و هي الدولة العريقة التي تتميز بالطابع الحضاري الراقى بالمستوي المادة الرفيع.²

(3) طبقة الضاع

ونقصد بهم هنا أصحاب المهن والحرف الذين كانوا نشطاء ومصرة في إتقان مساهمتهم ومنتجاتهم الحرفية داخل الدولة حيث أن هؤلاء الضاع كانوا يعيشون عيشة ميسورة وراضية وكان ذلك سبب الأجور والرواتب المرتفعة

¹عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 2 ص 212

²المرجع نفسه، ج 2، ص ص 213_215

والأرباح العالية التي كانوا يعلقون تضامن الأرباح¹ و في هذا الصدد قال حسن الوزان: "الضاع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومنتعة ويجبون التمتع بالحياة ويلبسون لباسا جميلا كالتجار² وهذا يوحي لنا على أنهم كانوا يعيشون حياة تتم بالسعة والسرور.

4) طبقة الفقراء والعبيد

وهذه الفئة تظم حسب نظرنا الفقراء والمعوزين و المتسولين والعبيد، وأوائل ناس، واللصوص... الخ، أو يعني آخر الضعفاء داخل هذه الدولة³.

5) الطبقة المهمشة

مادما بصدد الحديث عن الطبقات الإجتماعية المشكلة للمجتمع الزياني فإنه لا يمكننا إخفاء شريحة من شرائح المجتمع المتمثلة في الفقراء و المعوزين والمساكين و البطالين وأهل السجون و أراذلة الناس، واللصوص وقد تعرضت هذه الشريحة إلى الإهمال والنسيان وتدخل فممن فئة المهمشة في المجتمع وسبب هذا التهميش هو لكونها شريحة غير منتجة وتشكل عبئا على كامل الدولة⁴.

وكذلك تحمل المرأة مثلها مثل الرجل في بناء الدولة الزيانية وذلك من خلال الروابط الأسرية والسياسي ومنتظر إلى هذه الروابط السياسية.

¹ عبد الكريم حساين: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7_9 هـ 13_15م دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر دار النشر الكويت 2012ص96.

² حسن الوزان: وصف افريقيا، ترنجي محمد و الأخضر محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1903ص21

³ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1ص225

⁴ سلاوي حديجة ، المرجع السابق، ص51.

المبحث الأول : مدى إرتباط القبائل

كان للمرأة دورا فعلا في توثيق الصلة بين الزيانيين و الحفصيين و المرينيين لتحقيق الشداد و الأخطار عن طريق المصاهرات ومن بين هذه النسوة نذكر:

1) مصاهرة بين السلطان يغمراسن و السلطان أبو اسحاق الحفصي

لقد حرص السلطان يغمراسن على تعزيز علاقاته وربط صلة وثيقة بالسلطان أبي اسحاق الحفصي تفاديا لأي حرب محتملة و أكد ذلك بالمصاهرة، فخطب إبنته لولده ولي عهد أبي سعيد عثمان سنة 681 هجري والتي ستنجب له فيما بعد سلطانين من سلاطين بني زيان وهما أبو زيان محمد (703_707هـ/23_03_1307هـ) وأبو حمو موسى الأول (708_718هـ/1308_1318هـ) فأرسل للإرسال للإتيان بها ولده أبا عامر وقد حرص السلطان يغمراسن الذي جاور السبعين من عمره على الإنتقال بنفسه لاستقبال الوفد المصاحب للعروسة حفاية بها وإرضاء لأبيها، فلقبهم بمليانة لكن الأجل المحتوم أدركه قافلا برهيو من واد السلف فتوفي هناك سنة 681م ومن نتائج هذه المصاهرة نقص حدة التوتر التي كانت قائمة بين الطرفين، وذلك بشهادة أحد الأرخين الذين يتحدث عن خجل السلطان عثمان من التوسع شرقا بسبب علاقة المصاهرة والنسب وبين الحفصيين¹ وأيضا حول السلطان يغمراسن حوض على إلقائها حماية لها بأبيها، فلقبها بمليانة، ولما عاد أدركه الأجل المحتوم بواد رهيف من الشلف.²

¹ حسبية عمروش : المرجع السابق، ص 33.

² محمد بن عبد الله التنيسي: مرجع سابق، ص 128

2) مصادر بني أبي حمو و والي بجاية

ومن الصاهرات التي كان لها الأثر الطيب على رفع حد للحملات المتكررة التي شنّها السلطان أبي حمو موسى الثاني (760 . 781 هـ / 1359 . 1389 م) على بجاية 765 هجري و حصارها بهدف إخضاعها، وأمام عجز صاحب بجاية المولى أبو عبد الله الحفصي عن المقاومة والدفاع لأنه تعرض في نفس الوقت إلى هجمات عسكريه من قبل ابن عمه أبي العباس صاحب قسنطينة الذي هزمه مرتين فصعب عليه الأمر في إدارة الجهتين الشرقية والغربية فأثر أن يغير موقف إزاء أحد الجاذبين يستعين عليه على مقامه الأخر، فعمل على تحسين علاقته مع أبو حمود بالإيجاد صيغه للتفاهم فعرض عليه التنازل عن التدلسو مصاهرته في ابنته، وتم ذلك سنة 767 هـ 1368م مقابل الهدنة و الصلح، ويقول ابن خلدون في هذا العدد فأوفد رسالة على السلطان أبي حمو صاحب تلمسان في المهادنة.....، وعقد معه السلم وأصهر إليه بنته ؛ فأجابته وزفها إليه فتلقاها فيدله وزرائه بأخر عملهم من حدود بجاية....¹، و أمام عزيزي صاحب بجاية المولى أبو عبد الله الحفصي عن المقاومة والدفاع عمال على تحسين علاقته مع أبي حمو بإيجاد الصيغة للتفاهم فعرض عليه التنازل في دلس ومصاهرته ببنته تم ذلك سنة 1366/767 مقابل الهدنة والصلح.

الأميرة المغراوية:

لقد ساهمت هذا الرابط الزوجية على التوقيت العلاقات بين المغربين الأوسط والأقصى و قد أشارت المصادر على أنّها حفيدة ثابت بن منديل ولما ملك ثابت بن منديل سنة /694 هـ 1295 م كما قلناه كفل السلطان ولده وأمه وكان فيهم حفيدا راشدين محمد، ما صهر إليه في أخته فأنكحه إياها².

¹ عميروش ، المرجع السابق، ص 60، 61

² ابن خلدون، المصدر السابق ج7ص90

3) مصاهره بني السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي والسلطان أبي عبد الله أحمد المتوكل:

كان المصادرة التي أبرمتها بني السلطان الحفصي أبو عمر عثمان (839. 893هـ . 1435 . 1488 م) مع السلطان الزياني أبو عبد الله أحمد المتوكل (866. 873 هـ . 1452 . 1468 م) الأثر الكبير لوضع حد لنهاية سلسله الهجمات التي كان يشنها الأمير الحفصي بين الفتية والأخرى على تلمسان لتأديب سلاطينها الذي كان يعلنون التمرد في فتره كانت تلمسان خاضعة للحفصيين بعد أن تمكن أبو عمر عثمان من الاستيلاء عليها سنة (866هـ/1461م).

وآثر الهجوم الأخير الذي شنه الأمير الحفصي بعث إليه المتوكل أشياخ البلد يعرضون عليه النهر والصلح، وكتبوا إليه بلغه سلطانهم و الولاء له وتزويج ابنته البكر لحفيده أبي زكريا يحيى بن مسعود فمل ذلك وعفا عنه وكتب له بخط يده نصا يقول فيه "شهد على نفسه عبد الله المتوكل عليه محمد لطف الله به ولا حول ولا قوة إلا بالله" في المقابل شهد حالة أخرى لمصاهرة ذات أغراض حربية لها دور سلمي على الوضع الأمني لدولة بني عبد الواد وهو ماتم بين الطرفين المرينين و الحفصيين في الظروف اقتصادية عهد تحالف بينهما توحيد الجهود من أجل تأديب السلطان أبي تاشفي الأول (718-738هـ/1318-1337م) وإخضاع تلمسان وقد تأكدت هذه المصاهرة التي تمت على الأمير أبي سعيد المريني ونظيره أبي يحيى الحفصي سنة 731 هـ يعقد القران فاطمة شقيقه أبي زكريا ابنة أبي الحسن¹.

كما كانت هناك مصاهرات ذو دور سلمي على الدولة الزيانية كمصاهرة بني:

السلطان أبي سعيد في ابنة الحسيني وبني أبي بكرين ابني زكريا الحفصي:

¹ حسينة عميروش ، المرجع السابق، ص 61. 62.

والسبب في ذلك هو أن أبو تاشفني عبد الرحمن بن أبي حمو ضايبي.

— بنو حفص واستولى على الكثير من ثغورهم فلجا السلطان أبو بكر بني أبي زكريا الحفصي إلى تحديد الوصلة مع بني مرني والعودة إلى تونس والمجلوس على كرسيه سنة 730 هـ/ 1330 م وليتوطيد الصلة أكثر خطب أبي سعيد ابنه السلطان أبي بكر الحفصي لابنه الأمير الحسيني، وانعقد الصهر بينهم في بنته فاطمة شقيقة الأمير أبي زكريا في ناس حيث تزوجت خلال مركب فخم وولي العهد أبي الحسيني على بني سلطان سعيد و فجأة انقلب الوضع السياسي حيث رفض أبو تاشفني الخضوع لشروط السلطان المريني أبا سعيد ثم أبي الحسيني الذي خلف أباه (731هـ/1331م) وعلى هذا أصبح أبو تاشفني يواجه خصمي على تضيق جهودهما شرقا و غربا وعلى أثر هذه المصاهرات نستطيع القول بأن أهمها كانت من اجل على الجبهة الشرقية الممثلة في الدولة الحفصية و التفرغ للجبهة الأخرى التي كانت الحرب معها سجلا طويلا لا ينته ومن القرائن الداله على الحضور النسوي في تسير شؤون الدولة الاستشاره السياسيه وكانت اكثرهم بروزا زوجه السلطان عثمان بننعمرانس التي اتخذت القرار المناسب خلال سماعها خبر وفاه زوجها الذي كان اثناء الحصار المريني الذي اشار اليه ابن خلدون بقوله "اخبار عن الشيخ العلامه حمد بن ابراهيم الأعلى وكان في صباه قهرمان دارهم قال : "هلك عثمان بن نعمرانس قال وجاء الخادم الى فقيده بنته زوجة السلطان ابو اسحاق بن الامير ابي زكريا بن عبد الواحد بني ابي حفص صاحب تونس وخيره¹.

²حسيبة عمروش ، المرجع السابق، ص61.62.

المبحث الثاني: دور المصاهرات في بناء القبائل

1) نظام المصاهرة :

يعتبر نظام المصاهرة ونسق محدين رئيسين في الثقافة وبنية المجتمع الزياني، نظرا لما تمثله أواخر القرابة داخل النظام الاجتماعي القبلي وخاصة لما يتعلق الأمر بالمجتمع الجنوب المغربي حيث همت الإنتماء السلالي ودوره في رسم معالم المكائات الاجتماعية داخل المجتمع، فالقرابة تعزز اللحمة القبائلية فهي تلعب دور امتيازيا في تعزيز المكانة و المنزلة داخل المجتمع ولاسيما الزواج.

2) نشأة المصاهرات :

وقد تنشأ المصاهرات كشكل من الأشكال ارتباط الاجتماعي وقد تكون لأسباب خاصة مثل توبة أوصال قبيلة بأخرى¹.

¹ وكبيديا، تم الإطلاع عليه يوم 01 جوان 2021 على الساعة 10:20 صباحا.

خلاصة الفصل :

تنتمي القبيلة في الدولة الزيانية إلى أربعة طبقات مثل الطبقة الحاكمة و التي تضم الشأن العالي من المجتمع كالسلطين و الحكام و الأمراء و الوزراء و الولات و قادة الجيش، إلى جانبها طبقة العلماء و أصحاب الذكر و كجارة التجارة و تظم هذه الفئة الفقهاء و العلماء و الموظفين في القطاع الدولي و الوطني و أيضا الشعراء و التجار الكبار.... إلخ، و هنالك أيضا طبقة الضاع التي تهتم بالضاعة و الحرف البدوية و أخيرا طبقة الفقراء و العبيد و كل المهمشين و هي أصغر و أضعف طبقة في العهد الزياني و العهد الحاضر فهي تظم المعوزين و المتسولين و العبيد و اللصوص و المساكين و غيرهم، و ترتبط القبائل الزيانية في ما بينهما بالزواج و الصاهرة حيث عدت المصاهرة كأداة لتحسين العلاقات و الصلح و الهدنة إلى جانب الحصول على القوة و السيطرة، فالمصاهرة توثق العلاقة بين الزيانيين و الحفصيين و المرينيين.

الخاتمة

خاتمة

خلاصه القول أن الدولة الزيانية ظهرت في أعقاب سقوط دولة الموحدين إلى جانب المرينين والحفصيين واحترام صراع بين هذه الدول الثلاثة غذته النعرة القبلية التي كانت الميزة المشتركة الأقطار الثلاثة وهذا كانت قبيلة بني عبد الواد وراء تأسيس هذه الدولة.

وهذا وقد اعتمد بنو الواد في تأسيس دولتهم على قبيلتهم بالدرجة الأولى وبعض القبائل البربرية والعربية دون أن يوظف حركة مذهبية أو دينية اصطلاحية مثلما فعل سابقوهم المرابطون و الموحدون في العاصمة القبيلة لقبيلة بني عبد الواد وقوة شخصية يغمراسن بن زيان كسابيا مباشر في قيام الدولة على هذه القبيلة بفضل عاصيمتها الحياشة استطاعت أن تعمر طويلا رغم الانعكاسات التي تعرضت لها فالحنكة السياسية و الدبلوماسية ليغمراسن بن زيان مكنته في مواجهة القبائل المصارعة لها بذكاء مثلما فعل مع قبيلة بني عامر العربية التي جلبها و أهداها بالقطاعات و أراضي خصبة بين وهران و تلمسان ، و استعملها في مواجهة قبائل المعفل للحد من خطرها و كذلك لوضع حد لإطماع الحفصيين و المرينين، حيث عالج هذه الأوضاع بدبلوماسية خاصة في بداية تأسيس دولته.

يقتصر بناء الأسرة القبائلية في العهد الزياني على الجانب الاجتماعي و الإقتصادي و السياسي و الثقافي و يرتبط إرتباطا وثيقا بالمرأة الحضارية و المرأة الريفية و أيضا على الروابط الأسرية و الحظور الاجتماعي و السياسي و الإقتصادي للمرأة و غيرها من الأمور الأخرى.

ونظرا إلى هذه الأهمية القبيلية توصلنا إلى بعض من النتائج تمثلت في :

- أن الحضور السياسي للمرأة الزيانية كان لها دورا هاما كمشاركة امرأة في المفاوضات من اجل

إيقاف الحروب.

- يتمثل دور المرأة من خلال الحضور السياسي في تثبيت الحكم بحيث نستنتج ان امهات وزوجات السلاطين كان لهم دورا في تثبيت وترسيخ الحكم .
- شاركت المرأة الزيانية في الجيش في المعارك ضد العدو بالقتال والتشجيع.
- كان للمرأة حضورا في مجال الاستخبارات
- كانت المرأة الزيانية تفتخر بتعليم بناتها الحرف المتداولة بين العائلات
- تعددت نشاطات المرأة الزيانية في الفلاحة والصناعة عندها
- كان للمرأة الزيانية دورا كبيرا في انتشار الثقافة الزيانية والعادات والتقاليد.
- كان للمرأة الزيانية دورا كبيرا في ترابط وتوثيق الصلة بين الزيانيين لتحقيق الشداد والأخطار عن الطريق المصاهرات.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتمنى أن يكون بحثنا هذا ملم بكافه العناوين التي تفيد البحث كما أتقدم

بالشكر إلى أستاذنا المشرف.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أ. قائمة المصادر:

❖ القرآن الكريم

(1) ابن خلدون أبو زكرياء يحيى: الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، بدرو فونطانا الشرقية، ج1، الجزائر، 1903م.

(2) ابن منظور المصري، لسان العرب، ج 8، دار 123، بيروت، لبنان، ط1.

(3) يحيى بن خلدون: لعبة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج2، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

(4) الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تج محمد جايي وآخرون، ج 3، 4، 5، 11، وزارة الأوقاف للمملكة المغربية، 1981.

(5) كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال توازل دفتاوى الونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، اسكندرية، مصر.

أ. قائمة المراجع العربية :

(1) ابن سعد الأنصاري، روضة النسرین في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين، نح، يحيى بو عزيز، منشورات ANFP، الأبيار، الجزائر، ط 1، ص 28.

(2) ابن عزان: لبيان المغرب، ج1، بيروت، 1951م، و محمد شيق خطاب: قادة فتح بلاد المغرب، ج1، دار الفكر، ط1، 1945م.

(3) ابي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الاوقافو الشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، ط 1، 2008.

المصادر و المراجع

- 4) أحمد بن عبد الله القلقشندي: مآثر الإقامة في مراكز الخلافة، ج 2، تحقيق: عبد الستار أحمد فواح، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1985م.
- 5) الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة المؤسسات في التعريف بالحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2015م.
- 6) حسان حلاق : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1، 1989.
- 7) حسن الوزان: وصف افريقيا، ترنحجي محمد و الأخضر محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1903.
- 8) خالد بلعربي: النظام العسكري بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني ضمن كتاب ورقات زيبانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، 2014.
- 9) سعيد عاشور : المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، دار المعارف تونس.
- 10) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدولة والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط 1.
- 11) عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتابة الجزائرية، 1984م.
- 12) عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عناصرهم من ذوي الشأن الأكبر: خليل شحادة، سهيل زكار، لبنان، دار الفكر، 2000، ج6.
- 13) عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني ، دراسة سياسية ، عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية، ج 1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002.
- 14) عبد الكريم حساين: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7_9 هـ 13_15م دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر دار النشر الكويت 2012.
- 15) عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، مطبعة المالكية، الرباط، المغرب، ج1، 1968.

المصادر و المراجع

- 16) علي شعرة، الحياة الاجتماعية من خلال كتب الدرر المكنونة في نوازل مازونة زكريا، يحي مومن بن عيسى المازوني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006، 2007.
- 17) فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، حروف للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2002م.
- 18) مارمور كريحال، إفريقيا، ج2، تر: محمد حاجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م.
- 19) المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تج ، مختار حساني ، مراجعة مالك كرشوش الزواوي ، ج 2، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009.
- 20) مبارك الصلابي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، 2004م.
- 21) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2.
- 22) محمد ابن حازم الظاهري الأندلسي: جمهرة أنساب الأندلس، تحقيق عبد السلام معارون، دار المعارف، مصر، 1962م.
- 23) محمد الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ج 2، 2007.
- 24) محمد بن أحمد بن الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، البرنامج الوطني للبحث كراسك، ردمك، 2005م.
- 25) محمد بن عبد الله التنيسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم والعقبات في مان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعباد، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 2015.
- 26) محمد طمار : تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 27) حسينة عميروش : المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني.
- 28) المقرئ احمد بن محمد المقرئ التلمساني : نفح الطيب من عصر الاندلس الرطيب، احسان عباس، دار 123 بيروت، لبنان، 1988.

المصادر و المراجع

29) يحيى بن خلدون: العبرة وديوان المبدأ والخبر ومن عناصرهم من ذي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 1، 2000م.

ب. قائمة المذكرات و الرسائل:

1) بختة حاج جلول ، المرأة في المجتمع الوياني 633 - 962 / 1235 - 1554، مذكرة ماجستير ، جامعة السانيا ، وهران 2014 ، 2015.

2) حسينة عميروش : انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633. 962 هـ / 1235. 1555م)، أطروحة مكملة لشهادة الدكتوراه الطور الثالث في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017. 2018م.

3) سبخون بوداوية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2006م..

4) سلاوي خديجة: الحياة الاجتماعية في الدولة الزيانية 633_912/1235_1555م مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب الوسيط و الأوسط كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ جامعة ابن خلدون، تيارت 2013/2014.

5) سمية مزود : المجاعات و الاوبئة في المغرب الاوسط 885-1927، 1520/1192، رسالة ماجستير، جماعة منصوري، قسنطينة، الجزائر، 2008 / 2009.

6) عبد المالك بكاي : العلاقة الزيانية المدنية سياسيا و ثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، قسم العلوم الانسانية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008، 2007.

المصادر و المراجع

7) نادية توام: انتفاضات القبائل ضد السلطة الزيانية القرن (السابع . التاسع هجري، الثالث عشر. الخامس عشر ميلادي)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة.

8) نادية توام: انتفاضات القبائل ضد السلطة الزيانية القرن السابع . التاسع هجري إلى الثالث عشر . الخامس عشر) مذكرة لنيل شهادة الماستر و حضارة المغرب الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ،تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2014. 2015م.

9) نبيلة عبد الشكور إسهم ، المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية القرن 19 هـ و 1562 م ، ج 1 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2007 / 2008.

ج. قائمة المجالات :

1) ابراهيم القادري بودشيش : الحب في العلاقة الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط، مجلة عصور جديدة، العدد 5 جامعة وهران 2012 .

2) عبد الرحمن بشير ، المرأة المغربية في نوازل أبي قاسم البرزلي ، مجلة العصور الجديدة ، ع 11-12 ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2014.

3) محمد غزالي : الاثر الاجتماعي لقضايا الخلع و الطلاق في بلاد المغرب الاسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريس، مجلة عمور الجديدة ، ع 11 _ 12، جامعة وهران، الجزائر، 2013، 2014.

4) مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، منشورات الحضارة ، برج الكيفان ، ج 2 ، 2009.

المصادر و المراجع

5) حسية ، عمروش ، المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633هـ - 696) 1235م - 1555م) ، قراءة في الحضور السياسي والعسكري ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 29 ، جامعة الواد ، الجزائر ، جوان 2017.

6) حسية عمروش :المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (1555_1235_962/605_قراءة في الحضور العسكري مجلة الباحث في العلوم الإسلامية و الإجتماعية، مجلد 5، العدد، 2017)

7) نعيمة بوركر ديمي ، صورة المرأة في العهد الزياني ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة حسية بن بوعلي، الشلف ، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد 12 ، 2017.

د. قائمة المراجع الأجنبية :

1) Atallal shena , le réseaux Abdelouahid a lapes que d A bou Hanou Moussa 1 ère, Alger , Office des applications universitaires, p 94.

هـ. قائمة مواقع الأنترنت:

1) وكيبيديا

الملحق الأول : موقع و حدود الدولة الزيانية



الملحق الثاني : خريطة تبين الممالك الثلاث

